الاخْتِلافُ في القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ، وَأَثَرُهُ في اتِّسَاعِ المَعَانِي

دكتور/ أحمد وفيق السَيِّد شاهين

مدرس بقسم اللغة العربية

كُلِّيَّة الآداب- جامعة المنيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

** المُقَدِّمَةُ

الْحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى نَبِيِّهِ الأَمين، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ والتَّابِعينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،،،، أمَّا بَعْد:

فَقَدْ حَظِيَتْ القِرَاءَاتُ القُرْآنِيَّةُ بِاهْتِمَامِ المُسْلمين مُنْذُ نَهْضَتِهِم الأُولَى عَلَى يَدِّ رَسولِ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَصَحَابَتِهِ الكِرَامِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا؛ فَقَدْ تَجَرَّدَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ المُسْلمين لِخِدْمَةِ هَذَا الكِتَاب، وَسطَرُوا كُلَّ مَا جَادَتْ بِهِ عُقُولُهُم وَأَفْكَارُهُم في مُؤَلَّفَاتٍ أَصْبَحَتْ مَفْخَرَةَ المُسْلمين، وَمَضَانَ الدَّارِسين مِنْ بَعْدِهِم في الدَّرْسِ وَالتَّأْليف. وَقَدْ أَفْنَى هَؤلاءُ المُجْتَهِدُون مِنْ عُلَمَاءِ المُسْلمين أَعْمَارَهُمْ بِتَتَبُّعِ كُلِّ صَغيرَةٍ وَكَبيرَةٍ حَوْلَ هَذَا العِلْمِ الشَّريف، بِاعْتِبَارِهِ وَاحِدًا مِنَ العُلومِ القُرْآنِيَّةِ المُهِمَّةِ التي تَخْدُمُ تَفْسيرَ القُرْآنِ الكَريمِ، وَتُسْهِمُ فِي فَهْمِ مَعَانِيهِ للانْصِياعِ لأَوَامِرِهِ، وَلِلُبْعْدِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ؛ لِلْوصُولِ إِلَى السَّعَادَةِ الحَقِيقِيَّةِ التي يَسْعَى إِلَيْهَا كُلُّ مُسْلِم.

وَالمُتَأَمِّلُ في الدَّرْسِ اللغَويِّ العَرَبِيِّ يَجِدُ أَنَّ الدَّرْسَ العَرَبِيَّ قَدْ تَأَثَّرَ تَأَثُّرًا وَاضِحًا بِهَذِهِ المُؤَلَّفَاتِ؛ إِذْ لا يَكَادُ كِتَابٌ في أَصْوَاتِ العَرَبِيَّةِ وصَرْفِهَا وَنَحْوِهَا أَنْ يَخْلُو مِنْ جُمْلَةٍ كَبيرَةٍ مِنَ القِرَاءَاتِ، وَمَا يَتَّصِل بِهَا مِنْ مَسَائِلَ مَثَّلَتْ القَوَاعِدَ والضَّوَابِطَ التي أَصَّلَتْ، وَرَفَّدَتْ مُفْرَدَاتِ هَذِهِ العُلومِ التي سَطَّرَهَا عُلَمَاءُ المُسْلمين.

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ المُهْتَمِّين بِتَأْرِيخِ القُرْآنِ والقِرَاءَاتِ طَائِفَةٌ كَبيرَةٌ مِنَ المُسْتَشْرِقين، دَرَسُوا تَأْرِيخَ القُرْآنِ وَالقِرَاءَاتِ، وَكَتَبُوا في ذَلِكَ كُتُبًا وَأَبْحَاثًا كَثيرَةً، كَانَ بَعْضُهَا يَتَّسِمُ بِالْجِدِّيَّةِ وَالنَّظْرَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَكَثيرٌ مِنْهَا لا يَخْلُو مِنَ الطَّعْنِ وَالتَّشْكِيكِ في القُرْآنِ وَقِرَاءَاتِه. وَقَدْ كَانَتْ مَسْأَلَةُ الاخْتِلافِ في القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ مِنَ المَسَائِلِ التي اتَّخَذَهَا عَدَدٌ مِنَ المُسْتَشْرِقين مُسَوَّغًا لِلطَّعْنِ في القُرْآنِ الكَرِيمِ؛ فَقَدْ وَصَفُوا القُرْآنَ وَقِرَاءَاتَهُ بِالتَّنَاقُضِ

والاضْطِّرَاب وَعَدَمِ الثَّبَات، وَذَلِك للْوصُول لإنْكَار كَوْنه بِقرَاءَاته منَ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَذَلِكَ كُلُّهُ لِنَفْيِ النُّبُوَّةِ عَنْ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَمِنْ ثَمَّ تَشْكِيك المُسْلِمين في عَقِيدَتِهِم الغرَّاء.

مِنْ أَجْلِ هَذَا كُله حَاوَلْتُ أَنْ أُبَيِّنَ حَقِيقَةَ هَذَا الاخْتِلاف في القِرَاءَات القُرْآنيَّة، وَأَنْ أَكْشِفَ عَنْ مَوْقِف عُلَمَاء المُسْلمين منْهُ، وَأَنْ أُبَيِّنَ مَفْهُومَهُم لَهُ، وَذَلِك مَعَ الكَشْف عَنْ مَقَاصِد الاخْتِلاف في القِرَاءَات القُرْآنيَّة، وَبَيَان الكَيْفِيَّة التي أَسْهَمَ بِهَا ذَلِكَ الاخْتِلافُ في تَعَدُّد المَعَاني وَاتِّسَاعِهَا؛ فَجَاءَ هَذَا البَحْثُ لِيُلْقِي الضَّوْءَ عَلَى جُزْءٍ مِنْ هَذَا المَوْضوعِ، وَيَكْشِف عَنْ شَيءٍ مِنْ أَسْرَارِه، وَذَلِكَ مِنْ خِلال مَبَاحثه الثَّلاثَة الآتيَة :

- **المَبْحَثُ الأَوَّلُ : نَشْأَةُ القِرَاءَات القُرْآنيَّة وَالمَرَاحِلُ التي مَرَّتْ بِهَا.**
- **المَبْحَثُ الثَّاني : مَفْهُومُ الاخْتِلاف في القِرَاءَات القُرْآنيَّة عِنْدَ العُلَمَاءِ.**
- **المَبْحَثُ الثَّالثُ : القِرَاءَاتُ وَالمَعْنَى.**

وَلِتَفْصِيل الأمْر، سَأَعْرِضُ لِكُلِّ مَبْحَث بِشَيْءٍ منَ التَّفْصِيل، مُسْتَخْدِمًا في ذَلِكَ المَنْهَجَ الاسْتِقْرائيَّ الوَصْفِيَّ التَّحْلِيلِيَّ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحوِ التَّالي :

**** المَبْحَثُ الأَوَّلُ : نَشْأَةُ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ وَالمَرَاحِلُ التي مَرَّتْ بِهَا**

يَرْتَبِطُ الحَدِيثُ عَنْ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ بِالحَدِيثِ عَنْ المَرَاحِلِ الأُولَى التي تَلَقَّى فِيهَا النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- آيَاتِ التَّنْزِيلِ، وَبَيَانِ الكَيْفِيَّةِ التي تَلَقَّى الصَّحَابَةُ الكِرَامُ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- بِهَا تِلْكَ الآيَاتِ المُبَارَكَاتِ مِنْهُ- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ- وَمِنْ ثَمَّ تَبْلِيغِهِم إِيَّاهَا بِعِنَايَةٍ بَالِغَةٍ لِلنَّاسِ كَافَّةً كَمَا تَلَقَّوهَا مِنْ فَمِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ مَعَ نَشْرِهِم مَعَانِي تِلْكَ الآيَاتِ، وَكَشْفِهِم عَنْ مُرَادِ اللهِ مِنْهَا بِمَا تَوَفَّرَ لَهُم مِنْ أَدَوَاتٍ.

وَبِهَذِهِ المَعَانِي وَهَذَا اللسَانِ سَارِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مِنَ التَابِعِينَ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ قِرَاءَةَ القُرْآنِ وَأَحْكَامَهُ. وَقَدْ صَوَّرَ لَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ هَذَا المَشْهَدَ فِيمَا حَدَّثَ بِهِ حَمَّادُ بن زَيْدٍ وَغَيْرِه : " إِنَّ أبا عَبْدَ الرَّحمَن السلْمي قَال: إِنَّا أَخَذْنَا القُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ أَخْبَرونَا أَنَّهُم كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَى العَشْرِ الأُخَرِ، حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِنَّ، فَكُنَّا نَتَعَلَّمُ القُرْآنَ وَالعَمَلَ بِه." [1]

وَقَدْ جَاءَتْ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُبَيِّنُ كَيْفَ كَانَ النَّبِيُّ- عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ- يَتَلَقَّى هَذَا القُرْآنَ، وَتَصِفُ أَحْوَالَهُ مَعَ هَذَا التَّلَقِّي، وَتُؤَكِّدُ أَمْرَ تَكَفُّلِ اللهِ المُطْلَقِ بِحِفْظِ هَذَا القُرْآنِ وَجَمْعِهِ وَبَيَانِهِ لِلنَّاسِ. وَمِنْ هَذِهِ الآيَاتِ التي تُشِيرُ إِلَى هَذِهِ المَعَانِي وَالتي سَنَقِفُ عَلَيْهَا بِالدَّرْسِ وَالتَّحْلِيلِ، قَوْلُه تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}.[2]

فَقَدْ رُوِيَ فِي الأَثَرِ تَفْسِيرًا لِهَذِهِ الآيَاتِ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا- وَلَفْظُ الحَدِيثِ لِلْبُخَارِيِّ فِي صَحِيحِهِ- عَنْ سَعِيدِ بن جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَال: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ- فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ- فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: { لَا تُحَرِّكْ

---

١ – انظر مَعْرِفَةُ القُرَّاءِ الكِبَارِ عَلَى الطَبَقَاتِ وَالأَعْصَارِ : شَمْسُ الدِّين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عُثْمان بن قَايْمَاز الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨هـ)، ٢٨/١، ط. دَار الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ، بيروت، ط ١، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

٢ – سُورَةُ القِيَامَةِ : آيات ١٦–١٩ .

بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}[1]، قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}[2]، قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}[3]، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّه– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَرَأَهُ."[4]

يَقُولُ ابْنُ حَجَر:" وَكَانَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي ابْتِدَاءِ الْأَمْرِ إِذَا لُقِّنَ الْقُرْآنَ نَازَعَ جِبْرِيلَ الْقِرَاءَةَ، وَلَمْ يَصْبِرْ حَتَّى يُتِمَّهَا مُسَارَعَةً إِلَى الْحِفْظِ لِئَلَّا يَنْفَلِتَ مِنْهُ شَيْءٌ. قَالَهُ الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةٍ لِلتِّرْمِذِيِّ: يُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَهُ؛ يُرِيدُ أَنْ يَحْفَظَهُ. وَلِلنَّسَائِيِّ: يَعْجَلْ بِقِرَاءَتِهِ لِيَحْفَظَهُ، وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ: يَتَلَقَّى أَوَّلَهُ وَيُحَرِّكْ بِهِ شَفَتَيْهِ خَشْيَةَ أَنْ يَنْسَى أَوَّلَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْرَغَ مِنْ آخِرِهِ، وَفِي رِوَايَةِ الطَّبَرِيِّ عَنِ الشَّعْبِيِّ: عَجَّلَ يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ حُبِّهِ إِيَّاهُ، وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ مُرَادٌ، وَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ إِيَّاهُ، وَالشِّدَّةِ الَّتِي تَلْحَقُهُ فِي ذَلِكَ فَأُمِرَ بِأَنْ يُنْصِتَ حَتَّى يُقْضَى إِلَيْهِ وَحْيُهُ، وَوُعِدَ بِأَنَّهُ آمِنٌ مِنْ تَفَلُّتِهِ مِنْهُ بِالنِّسْيَانِ أَوْ غَيْرِهِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}[5]؛أَيْ بِالْقِرَاءَةِ." [6]

إِنَّ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثَ السَّابِقَةَ تُؤَكِّدُ أَنَّ الرَّسولَ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ أَمْرِ هَذَا القُرْآنِ إِلاَّ تَبْلِيغَهُ لِلنَّاسِ كَمَا سَمِعَهُ، دُونَ أي تَغْيِيرٍ؛ فَقَدْ أَشَارَتْ جَمِيعُهَا إِلَى أَنَّ اللهَ– عَزَّ وَجَلَّ– قَدْ تَكَفَّلَ بِحِفْظِ آيَاتِ هَذَا الكِتَابِ وَجَمْعِهِ وَبَيَانِهِ لِلنَّاسِ، فَمَا كَانَ لِلنَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذًا إِلاَّ اتِّبَاعَ الوَحْيِ فِي تَبْلِيغِ آيَاتِ التَّنْزِيلِ دُونَ أي زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ أَوْ تَغْيِيرٍ.

---

١ – سُورَةُ القِيَامَةِ : آية ١٧ .

٢ – سُورَةُ القِيَامَةِ : آية ١٨ .

٣ – سُورَةُ القِيَامَةِ : آية ١٩ .

٤ – صَحِيحُ البُخَارِي: ٦/١، و٢٧٣٦/٦. وَالحَدِيثُ مَوجُود في صَحِيحِ مُسْلِم: ٣٣٠/١، وسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ: ٤٣٠/٥، وسُنَنَ النَّسَائِيِّ: ٣٢٤/١، و ٥٠٣/٦ .

٥ – سُورَةُ طَهَ : آية ١١٤ .

٦ – فَتْحُ البَارِي– شَرْحُ صَحِيحِ البُخَارِي : أبو الفضل أحمد بن عَلِيّ بن حَجَر العسقلاني الشَّافعي (ت: ٨٥٢هـ)، ٣٠/١، رَقَّمَ كُتُبَهُ وَأَبْوَابَهُ وَأَحَادِيثَهُ مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، أَخْرَجَهُ وَصَحَّحَهُ مُحِبُّ الدِّين الخَطِيب، ط. دار المَعْرِفَة، بيروت، سنة ١٣٧٩هـ .

وَقَدْ جَاءَت مَرْحَلَةُ تَلَقِّي الصَحَابَة لآيَات الذِّكْرِ الحَكيمِ؛ بِتَبْلِيغِ الرَّسولِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إيَّاهُم بِمَا أُنْزِلَ إلَيْهِ مِنْ رَبِّه، فَقَرَأَ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- القُرْآنَ الكَرِيمَ عَلَى أَصْحَابِه، وَحَفِظَهُ مِنْهُم مَنْ حَفِظ، وَكَتَبَهُ مِنْهُم مَنْ كَتَب، قَالَ أبو شَامَة:" وَحَفِظَهُ في حَيَاتِه جَمَاعَةٌ مِنْ أَصحَابِه، وَكُل قِطْعَة مِنْهُ كَانَ يَحْفَظُهَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ، أَقَلُهُم بَالِغُونَ حَدَّ التَوَاتُر."[1]

وَكَانَ مِنْ أَشْهَرِ حُفَّاظِ القُرْآنِ وَمُعَلِّمِيه مِنَ الصَّحَابَة جَمَاعَةٌ، كَانَ مِنْهُم بَعْدَ الخُلَفَاء الرَاشِدِين: عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاس، وَعَبْدُ اللهِ بنُ عُمَر، وَعَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعود، وَسَالِم، وَأُبيٌّ بن كَعْب، وَحُذَيْفَة بن اليَمَان، وَطَلْحَة بن عُبَيْد الله، وَسَعْد بن أبي وَقَّاص، وأبو الدَّرْدَاء، وَمُعَاذ بن جَبَل، وَزَيْد بن ثَابت، وَأبوهُرَيْرَة، وَغيرهم.[2]

يَقُولُ ابنُ الجزْرِيُّ:" وَلَمَّا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِحِفْظِه مَنْ شَاءَ مِنْ أَهْلِه أَقَامَ لَهُ أَئِمَّةً ثِقَات تَجَرَّدُوا لِتَصْحِيحِه وَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ فِي إِتْقَانِه وَتَلَقَّوْهُ مِنَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَرْفًا حَرْفًا، لَمْ يُهْمِلُوا مِنْهُ حَرَكَةً وَلَا سُكُونًا وَلَا إِثْبَاتًا وَلَا حَذْفًا، وَلَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ شَكٌّ وَلَا وَهْمٌ، وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ حَفِظَهُ كُلَّهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَفِظَ أَكْثَرَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَفِظَ بَعْضَهُ، كُلُّ ذَلِكَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."[3]

وَمَا أَنْتَقَلَ رَسولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى إلاَّ وَالقُرْآنُ مَجْمُوعًا وَمَكْتُوبًا عِنْدَ جَمْعٍ مِنَ الصَّحَابَة، وَلَكِنْ لَمْ يُجْمَع في مُصْحَف مُنَظَّمٍ في حَيَاتِه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَذَلِكَ لأَنَّ القُرْآنَ كَانَ يَتَنَزَّلُ مُفَرَّقًا، ثُمَّ جُمِعَ في عَهْدِ الصِّدِّيقِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بَيْنَ لَوْحَيْنِ عَقِب مَعْرَكَة اليَمَامَة، حِينَ اسْتَحَرَّ القَتْلُ بِالمُسْلمين، ولاسِيَّمَا في حَمَلَةِ القُرْآنِ الكريمِ. وَتَفَاصِيلُ هَذِهِ المَرْحَلَةِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ مَعْرُوفَةٌ

---

١ – المُرْشِدُ الوَجِيزُ إلى علومٍ تَتَعَلَّقُ بِالكِتَابِ العَزِيزِ : أبو القاسم شهاب الدِّين عبد الرَّحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المَقْدِسي الدِّمَشْقِيّ المَعْروف بأبي شَامَة (ت: ٦٦٥هـ)، ص٣٠، تحقيق طَيَّار آلتي قولاج، ط. دار صادر، بيروت، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٢ – انظر بيان أسماء هؤلاء في: جَمَالُ القُرَّاءِ وَكَمَالُ الإِقْرَاءِ : عَلَمُ الدِّين أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن عبد الصَّمَد الهَمَدانيُّ المصريُّ الشَّافعيُّ (ت: ٦٤٣هـ)، ص٥٠٢-٥٠٣، تحقيق د. مروان العطيَّة، و د. مُحسن خَرَابَة ، ط. دار المأمون للتُّراث، دمشق، بيروت، ط١، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

٣ – النَّشْرُ في القِرَاءَاتِ العَشْرِ : شَمْسُ الدِّين أبو الخَيْر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن يوسف ابن الجزْرِي (ت: ٨٣٣هـ) ، ٦/١، تحقيق عَلي مُحَمَّد الضَبَّاع، ط. دار الفِكْر، بيروت، (د.ت) .

مَشْهورَةٌ في كُتُبِ الحَديثِ وَالتَّاريخِ وَعُلومِ القُرْآنِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ مَا أَوْرَدَهُ البُخَارِيُّ في جَامِعِهِ الصَّحيحِ فِيمَا كَانَ نَصُّهُ :

"حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ أَبُو ثَابِتٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: بَعَثَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ لِمَقْتَلِ أَهْلِ اليَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:(إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ:إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ فِي المَوَاطِنِ كُلِّهَا، فَيَذْهَبَ قُرْآنٌ كَثِيرٌ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ)، قُلْتُ:(كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟)، فَقَالَ عُمَرُ:هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ عُمَرَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: (وَإِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، لاَ نَتَّهِمُكَ قَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ، فَاجْمَعْهُ)، قَالَ زَيْدٌ: فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ بِأَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا كَلَّفَنِي مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ ، قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلاَنِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ:(هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ)، فَلَمْ يَزَلْ يَحُثُّ مُرَاجَعَتِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَيَا،فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ،أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ وَالرِّقَاعِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، فَوَجَدْتُ فِي آخِرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ:{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ}[1]..إِلَى آخِرِهَا مَعَ خُزَيْمَةَ، أَوْ أُبَيٍّ خُزَيْمَةَ، فَأَلْحَقْتُهَا فِي سُورَتِهَا."[2]

---

١ – سُورَةُ التَّوْبَة : آية ١٢٨.

٢ – الجامِعُ المُسنَدُ الصَّحيحُ المُختَصَرُ مِنْ أمورِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وسُنَنِه وأيَّامِه، والمَعْروفُ بـــ (صَحيحِ البُخَارِي) : البُخارِيُّ، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسْماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة بن بردزبَّة البُخارِيُّ الجَعْفِيُّ، (ت: ٢٥٦هـــ)، كِتَابُ الأَحْكَام، بَابُ يُسْتَحَبُّ للكَاتِبِ أَنْ يكونَ أمينًا، ٧٤/٩، رقم (٧١٩١) واللفْظُ لَهُ، تَحقيق مُحَمَّد زُهير بن ناصر النَّاصِر، ط، دار طوق النَّجَاة، ط١، سنة ١٤٢٢هـــ. وانظر الحديث في: سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ: أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضَّحَّاك التِّرْمِذِيُّ (ت: ٢٧٩هـــ)، أبوابُ: تَفسيرُ القُرآنِ، باب وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ، ٢٨٣/٥، رقم (٣١٠٣)، تحقيق وتعليق أحمد مُحَمَّد شاكر، ومُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عَطْوَة عَوَض، ط. مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، سنة ١٣٩٥هـــ/١٩٧٥م ، والسُّنَنُ الكُبْرَىَ: أبو عبد الرَّحْمَن أحمد بن شُعَيْب بن عَلِي الخُرَاسَاني النَّسَائي (ت: ٣٠٣هـــ): كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابٌ ذِكْرُ كَاتِبِ=

وَهَكَذَا تَلَقَّى الصَحَابَةُ القُرْآنَ مِنْ رَسولِ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِغَايَةِ الإِتْقَانِ وَالضَّبْطِ، وَكَانَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ وَجَّهَ بَعْضَهُم إِلَى البُلْدَانِ لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ تِلاوَةَ القُرْآنِ وَأَحْكَامَ الدِّينِ،[1] وَظَهَرَ في قِرَاءَةِ الصَّحَابَةِ لِلقُرْآنِ تَبَايُن في نُطْقِ بَعْضِ الكَلِمَاتِ، وَذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى الرُّخْصَةِ التي مَنَحَهَا اللهُ- عَزَّ وَجَلَّ- لَهُم بِإِمْكَانِيَّةِ القِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ عَلَى الحَرْفِ الذي يُوافِقُ كُلَّ لَهْجَةٍ عَرَبِيَّةٍ مَخْصوصَةٍ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ اخْتِلافِ لُغَاتِ مَنْ نَزَلَ فِيهِم القُرْآنُ مِنَ العَرَبِ ،وَهُوَ الأَمْرُالذي أَقَرَّهُ الرَّسولُ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أَصحَابِهِ، وَعَمِلَ بِهِ؛ فَقَدْ قَرَئ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- القُرْآنَ عَلَى كُلِّ قَوْمٍ بِلُغَتِهِم المَخْصُوصَةِ وَمَا جَرَتْ عَلَيْهِ عَادَاتَهُم؛ فَقَوْمٌ جَرَتْ عَادَاتُهُم بِالهَمْزِ، وَقَوْمٌ بِالتَّخْفِيفِ، وَقَوْمٌ بِالفَتْحِ، وَقَوْمٌ بِالإِمَالَةِ، وَهَكَذَا الإِعْرَابُ واخْتِلَافُهُ في لُغَاتِهِم.[2]

فَلأَجْلِ هَذَا أَبَاحَ اللهُ- تَعَالَى- لِنَبِيِّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يُيَسِّرَ عَلَى النَّاسِ وَيُقْرِئَهُم القُرْآنَ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ، وَهَذَا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ قَال:" لَقِيَ رَسُولُ اللَّه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جِبْرِيلَ، فَقَالَ:{يَا جِبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ: مِنْهُمُ العَجُوزُ، وَالشَّيْخُ الكَبِيرُ، وَالغُلَامُ، وَالجَارِيَةُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ}، قَالَ:

=الْوَحْيِ، ٢٤٩/٧، رقم (٧٩٤١)، تحقيق حَسَن عبد المُنْعِم شَلَبي، ط. مُؤسَّسَة الرِّسَالَة، بيروت، ط١، سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، وكِتَابُ المَصَاحِفُ: أبو بكر عبد الله بن سُليمان بن الأَشْعَث الأَزَدِيّ السِّجِسْتَاني (ت: ٣١٦هـ)، ص٥٣، تحقيق مُحَمَّد بن عبده، ط. الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، ط١، سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، و الإِبَانَةُ عَنْ مَعَانِي القِرَاءَاتِ : أبو مُحَمَّد مَكِي بن أبي طَالِب حَمّوش بن مُحَمَّد بن مُخْتَار القَيْسِيِّ القَيْرَوَانِيّ ثُمَّ الأَنْدَلُسِي القُرْطُبِيِّ المَالِكِي (ت: ٤٣٧هـ) ، ص ٢-٢٥، تحقيق د. عبد الفَتَّاح إسماعيل شَلَبي، ط. دار نهضة مصر، القاهرة ، (د.ت)، و مُحَاضَرَاتٌ في علوم القُرْآنِ : أبو عبد الله غانم بن قدُّوري بن حَمَد بن صَالِح، آل موسى فَرَج النَّاصِرِي التِكْرِيتي، ص ٥٥-٥٦، ط. دار عَمَّار، عَمَّان، ط١، سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .

١ – انظر الإبانة عن معاني القراءات: مكي بن أبي طالب، ص١٥ .

٢ – انظر تَأْوِيل مُشْكِلِ القُرْآنِ : أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُسْلِم بن قُتَيْبَة (ت: ٢٧٦هـ)، ص٣٩، تحقيق سيِّد أحمد صَقْر، دار التراث، القاهرة، ط٢، سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، والإبانة: ص ٤٢-٤٣ .

يَا مُحَمَّد إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف."[1] وَفي رِوَايَة لِمُسْلِم أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَال:" إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْف، فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ»، فَقَالَ:«أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَة أَحْرُف، فَقَالَ:«أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ»، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف، فَأَيُّمَا حَرْف قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا." [2]

فَكَانَ رَسولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُعَلِّمُ الصَّحَابَةَ قِرَاءَةَ القُرْآنِ وَيَسْمَعُ مِنْهُم، وَيُقْرِؤهُمْ عَلَى قِرَاءاتِهِم؛ تَخْفِيفًا وَتَوْسِعَةً مِنَ اللهِ– تَعَالَى– عَلَيْهِم، وَلَمْ يَحْمِلَهُم أَمَامَ ذَلِكَ الوَضْعِ اللغوي المُعَقَّد عَلَى تَعَلُّمِ نُطْقِ لُغَةِ قُرَيْش التي نَزَلَ بِهَا القُرْآنُ لِقِرَاءَةِ القُرْآنِ بِهَا، وَإِنَّمَا أَذِنَ وَأَبَاحَ لَهُمْ قِرَاءَةَ القُرْآنِ بِوجُوهٍ مِنَ النُّطْقِ، تِلْكَ الوجُوهُ التي اعْتَادوهَا في مُخَاطَبَاتِهِم اليَوْمِيَّة، وَأَلِفُوهَا في مُعَامَلاتِهِم، وَنَشَأُوا عَلَيْهَا في قَبَائِلِهِم. فَالقِرَاءَاتُ القُرْآنِيَّةُ – بِذَلِكَ – هِيَ تِلْكَ التي أَذِنَ الرَّسُولُ لأَصْحَابِهِ بِالقِرَاءَةِ بِهَا، وَأَقَرَّهُم عَلَيْهَا هِيَ تِلْكَ التي تَرْتَبِطُ بِهَذَا الأَصْلِ اللغَوِيِّ.[3]

وَمِنْ ثَمَّ، فَقَدْ أَخَذَ التَّابِعونَ قِرَاءَةَ القُرْآنِ مِنْ أَكَابِرِ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ بِالقِرَاءَةِ، وَحَمَلُوا عَنْهُم قِرَاءَاتِهِم التي أَخَذوهَا عَنْ رَسولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِمَّا مُشَافَهَةً أَوْ إِقْرَارًا، وانْطَلَقوا بِهَا في أَرْجَاءِ البِلادِ الإِسْلامِيَّةِ خَارِجِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ التي فُتِحَتْ عَلَى

---

١ – الحَدِيثُ في سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ : أَبْوَابُ الْقِرَاءَاتِ، بَابُ مَا جَاءَ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف، ١٩٤/٥، رقم (٢٩٤٤) .

٢ – المُسْنَدُ الصَّحِيحُ المُخْتَصَرُ بِنَقْلِ العَدْلِ عَنْ العَدْلِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، والمَعْرُوفُ بـــ (صَحِيحُ مُسْلِم): أبو الحسن مُسْلِمُ بن الحَجَّاج القُشيريُّ النَيْسابوريُّ أبو الحسن، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ وَبَيَانِ مَعْنَاهُ (ت: ٢٦١هـــ)، ١/ ٥٦٢، رقم (٨٢١)، تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء التُّراثِ العَرَبِيِّ، بيروت، سَنَة ١٣٧٤هـــ/١٩٥٤م.

٣ – انظر مُحَاضَرَاتٌ في عُلومِ القُرْآنِ: غانم التِّكْرِيتِي، ص ١٠٩.

أَيْدِي المُسْلِمين، فَكَانَ الصَّحَابَةُ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- الذينَ نَزَلوا في الأمْصَارِ الإسْلاميَّةِ حَريصون عَلَى تَعْليمِ المُسْلمينَ في تِلْكَ الأمْصَارِ أَحْكَامَ الدِّينِ وَتِلاوَةَ القُرْآنِ، وَذَلِكَ عَلَى ضَوْءِ مَا تَلَقُّوهُ مِنْ رَسولِ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهَكَذَا ذَاعَ صيتُ العَشَرَاتِ مِنَ التَّابِعينَ ممَّنْ عُرِفَ بِالقِرَاءَةِ وَالتَّلَقِّي مِنْ أَفْواهِ الصَّحَابَةِ، وَأَخَذَ المُسْلمونَ يَتَلَقُّونَ عَنْهُم القِرَاءَةَ بِشَكْلٍ كَبيرٍ في تِلْكَ الأمْصَارِ، وَدَارَتْ مَعَهَا حَلَقَاتُ قِرَاءَةِ القُرْآنِ، مَعَ مَا فيهَا مِنْ تَيْسيرٍ ممَّا يُطيقُهُ أَهْلُ تِلْكَ الأمْصَارِ التي دَخَلَتْ تَحْتَ لِواءِ الإسْلامِ في مُحيطِ مَا أَبَاحَهُ النَّبيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأَصْحَابِهِ وَأَقَرَّهُمْ عَلَيْهِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

وَقَدْ بَلَغَتْ مَظَاهِرُ التَّنَوُّعِ في القِرَاءَاتِ أَشُدَّهَا في زَمَنِ خِلافَةِ عُثْمَانِ بن عَفَّانٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حَتَّى خَرَجَتْ عَنْ إِطَارِهَا العَامِ وَالهَدَفِ الذي مِنْ أَجْلِهِ كَانَ هَذَا التَّنوُّعُ في القِرَاءَاتِ، إِذْ اخْتَلَفَ عَوامُ النَّاسِ في القُرْآنِ؛ فَصَارَ أَحَدُهُمْ يَقولُ لِلآخَرِ: قِرَاءتي خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَتِكَ أَوْ أَصَحُّ مِنْ قِرَاءَتِكَ، أَوْ قِرَاءَتُنَا أَوْلَى مِنْ قِرَاءَتِكُم، حَتَّى كَادَ أَنْ يُكَفِّرَ بَعْضُهُم بَعْضًا، وَهَذَا مَا أَدْرَكَهُ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ حُذَيْفَةُ بن اليَمَان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عِنْدَمَا حَضرَ فَتْحَ أَرْمِينية وَأَذْرَبِيجَان فَرَأَى وَسَمِعَ مِنَ النَّاسِ مَا أَفْزَعَهُ، فَقَدِمَ عَلَى عُثْمَان، وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِأَنْ يَتَدَارَكَ هَذَا الأَمْرَ، وَيَجْمَعَ الكَلِمَةَ قَبْلَ تَفَاقُمِ الأَمْرِ. وَالوَاقِعَةُ كَمَا يَرْوِيهَا كَثِيرٌ مِنَ المُحَدِّثِين وَالمُؤرِّخِين وَأَصْحَابُ كُتُبِ عُلُومِ القُرْآنِ هِيَ " أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ- وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ العِرَاقِ- فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي القِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الكِتَابِ اخْتِلاَفَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ:{أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي المَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ}، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ}، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ القُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: {إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ} فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي المَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ

الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ القُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ." [1]

وَقَدْ كَانَ هَذَا الأَمْرُ عَلَى مَلأٍ مِنَ الصَّحابة، فَقَدْ تَلَقُّوهُ بِالرِّضَى وَالقَبول والاسْتِحْسَانِ؛ فَعَنْ سُوَيْد بن غَفَلَة قَال: وَاللَّه لَا أُحَدِّثُكُمْ إِلَّا شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَغْلُوا فِي عُثْمَانَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا {أَوْ قُولُوا لَهُ خَيْرًا} فِي الْمَصَاحِفِ وَإِحْرَاقِ الْمَصَاحِفِ، فَوَاللَّه مَا فَعَلَ الَّذِي فَعَلَ فِي الْمَصَاحِفِ إِلَّا عَنْ مَلَأٍ مِنَّا جَمِيعًا، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ؟ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ: إِنَّ قِرَاءَتِي خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَتِكَ، وَهَذَا يَكَادُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا، قُلْنَا: فَمَا تَرَى؟ قَالَ: نَرَى أَنْ نَجْمَعَ النَّاسَ عَلَى مُصْحَفٍ وَاحِد، فَلَا تَكُونُ فُرْقَةٌ، وَلَا يَكُونُ اخْتِلَافٌ، قُلْنَا: فَنِعْمَ مَا رَأَيْتَ قَالَ: فَقِيلَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْصَحُ، وَأَيُّ النَّاسِ أَقْرَأُ؟ قَالُوا: أَفْصَحُ النَّاسِ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، وَأَقْرَأُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِت، فَقَالَ: لِيَكْتُبْ أَحَدُهُمَا وَيُمْلِ الْآخَرُ فَفَعَلَا وَجُمِعَ النَّاسُ عَلَى مُصْحَفٍ { قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّه لَوْ وُلِّيتُ لَفَعَلْتُ مِثْلَ الَّذِي فَعَلَ}."[2]

وَهَكَذَا أَدْرَكَ الخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُثْمَان بن عَفَّان– رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– الخِلافَ الذي كَادَ أَنْ يَتَّسِعَ بَيْنَ المُسْلِمينَ في قِرَاءَةِ القُرْآنِ؛ فَأَلْزَمَهُم عَلَى قِرَاءةِ القُرْآنِ بِمَا يُوافِقُ خَطَّ المُصْحَفِ، وَالذي كُتِبَ عَلَى مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ؛ أَلا وَهُوَ لِسَانِ قُرَيْش. وَقَدْ سَاعَدَ شَكْلُ المُصْحَفِ في ذَلِكَ الوَقْتِ بِخُلُوِّهِ مِنَ النَّقْطِ وَالشَّكْلِ عَلَى بَقَاءِ جُمْلَةٍ مِنَ القِرَاءَاتِ لا تُخَالِفُ خَطَّ المُصْحَفِ؛ فَتَعَدَّدَتْ قِرَاءَةُ أَهْلِ الأَمْصَارِ لِذَلِكَ بِمَا لا يُخَالِفُ الخَطَّ، وَسَقَطَ مِنْ قِرَاءَاتِهِم مَا يُخَالِفُ الخَطَّ.

---

١ – صَحِيحُ البُخَارِيِّ : كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ جَمْعِ القُرْآنِ، ١٨٣/٦، رقم (٤٩٨٧)، وَسُنَنُ التِّرْمِذِيِّ : أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ، ٢٨٤/٥، رقم (٣١٠٤)، وانظر الإِتْقَانُ في عُلومِ القُرْآنِ: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدِّين السُّيوطي (ت: ٩١١هـ)،٢٠٣/١، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط. الهيئة المِصْرِيَّة العَامة للكِتاب، مصر، سنة ١٣٩٤هـ /١٩٧٤م .

٢ – كِتَابُ المَصَاحِفِ : ابن أبي داود، ص ٩٦، وانظر الإتقان في عُلومِ القُرْآنِ: السَّيوطي، ٢١٠/١.

يَقولُ مَكيُّ بن أبي طَالب:" فَلَمَّا كَتَبَ عُثْمَانُ المَصَاحِفَ وَجَّهَهَا إِلَى الأَمْصَارِ، وَحَمَلَهُم عَلَى مَا فِيهَا، وَأَمَرَهُمْ بِتَرْكِ مَا خَالَفَهَا؛ قَرَأَ أَهْلُ كُلِّ مِصْرٍ مُصْحَفَهُم الذي وُجِّهَ إِلَيْهِم عَلَى مَا كَانُوا يَقْرَءون قَبْلَ وُصولِ المُصْحَفِ إِلَيْهِم مِمَّا يُوافِقُ خَطَّ المُصْحَفِ، وَتَرَكوا مِنْ قِرَاءَتِهِم التي كَانوا عَلَيْهَا مِمَّا يُخَالِفُ خَطَّ المُصْحَفِ، فَاخْتَلَفَتْ قِرَاءَةُ أَهْلِ الأَمْصَارِ لِذَلِكَ بِمَا لا يُخَالِفُ الخَطَّ، وَسَقَطَ مِنْ قِرَاءَتِهِم كُلِّهم ما يُخَالِفُ الخَطَّ. وَنَقَلَ ذَلِكَ الآخِرُ عَنْ الأَوَّلِ في كُلِّ مِصْرٍ، فَاخْتَلَفَ النَّقْلُ لِذَلِكَ، حَتَّى وَصَلَ النَّقْلُ إِلَى هَؤلاءِ الأَئِمَّةِ السَّبْعَةِ عَلَى ذَلِكَ، فَاخْتَلَفُوا فيمَا نَقَلُوا عَلَى حَسَبِ اخْتِلافِ أَهْلِ الأَمْصَارِ، لَمْ يَخْرُجْ وَاحِدٌ مِنْهُم عَنْ خَطِّ المُصْحَفِ فيمَا نَقَل، كَمَا لَمْ يَخْرُجْ وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ الأَمْصَارِ عَنْ خَطِّ المُصْحَفِ الذي وُجِّهَ إِليهِم."[1]

هَذَا، وَقَدْ يَعْرِضُ لِبَعْضِ المُطَّلِعينَ عَلَى تَأْرِيخِ القُرآنِ والقِرَاءَاتِ إِشْكَالاً، يَكْمُنُ في وُجودِ تَعَارُضٍ ظَاهِرِيٍّ قَدْ يَظْهَرُ لِغَيْرِ المُتَخَصِّصينَ مِنَ الدَّارِسِينَ في عِلْمِ القِرَاءَاتِ؛ وَذَلِكَ مَا يُمْكِنُ تَلْخِيصُهُ في وُجودِ حِرْصٍ مِنْ جَانِبِ عُثْمان بن عَفَّان- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَلَى كِتَابةِ القُرْآنِ بِلِسَانِ قُرَيْش، وَتَأْكِيدِهِ أَنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ بِلِسَانِهِم، وَذَلِكَ مَعَ وجودِ الأَحَاديث النَّبَوِيَّة- وَالتي سَبَقَ ذِكْرُهَا- تِلْكَ التي تَنُصُّ عَلَى أَنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف. وَلِفَضِّ هَذِهِ الإِشْكَالِيَّةِ أَقولُ :

إِنَّ المُتَتَبِعَ لِلأَحَاديثِ وَالنُّصوصِ الوَارِدَةِ بِخُصوصِ نُزولِ القُرْآنِ، يَجِدُ أَنَّ نُزولَ القُرْآنِ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف لَمْ يَكُنْ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَة، بَلْ إِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهُ نَزَلَ أولاً بِلُغَةِ قُرَيْش، وَهَذَا مَا قَصَدَهُ عُثْمَانُ بن عَفَّان- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حِينَ أَمَرَ القُرَشِيينَ الثَّلاثَةَ بِكِتَابَةِ المَصَاحِفِ بِلِسَانِ قُرَيْش في حَالِ حُصولِ خِلافٍ بَيْنَهُم وَبَيْنَ زَيْدِ بن ثَابِت - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لأَنَّهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ نَزَل، وَبِهَذَا صَرَّحَ أبو شَامَةُ في كِتَابِهِ (المُرْشِدُ الوَجِيزُ) حَيْثُ قَال:"يَعْني:أَوَّلُ نُزُولِه قَبْلَ الرُّخْصَةِ في قِراءَتِه عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف."[2]

وَقَدْ جَاءَت الرُّخْصَةُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف؛ وَهَذَا يَعْني أَنَّ القُرْآنَ تَكَرَّرَ نُزُولُه عَلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَبِالأَحْرُفِ السَّبْعَة، وَهَذَا مَا

---

١ - الإِبَانَةُ عَنْ مَعَاني القِرَاءَات : مَكِّي بن أبي طالب، ص٤٩ .

٢ - المُرْشِدُ الوَجِيزُ : أبو شامة، ص٩٢ .

يُجَلِّيه بوضُوح الحَافظُ بنُ حَجَر بقَوْله:" أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ نَزَلَ أَوَّلًا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ أَحَدُ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ ثُمَّ نَزَلَ بِالْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الْمَأْذُونِ فِي قِرَاءَتِهَا تَسْهِيلًا وَتَيْسِيرًا كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فَلَمَّا جَمَعَ عُثْمَانُ النَّاسَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ رَأَى أَنَّ الْحَرْفَ الَّذِي نَزَلَ الْقُرْآنُ أَوَّلًا بِلِسَانِهِ أَوْلَى الْأَحْرُفِ فَحَمَلَ النَّاسَ عَلَيْهِ لِكَوْنِهِ لِسَانَ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلِمَا لَهُ مِنَ الْأَوَّلِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ."[1]وَيَقُولُ ابنُ حَجَر في مَوْضعٍ آخر مُدَلِّلاً عَلَى كَلامِ أبي شَامَة المُتَقَدِّم : " وَيَدُلُّ عَلَى مَا قَرَّرَهُ أَنَّهُ أُنْزِلَ أَوَّلًا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ثُمَّ سُهِّلَ عَلَى الْأُمَّةِ أَنْ يَقْرَءُوهُ بِغَيْرِ لِسَانِ قُرَيْشٍ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ كَثُرَ دُخُولُ الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ وُرُودَ التَّخْفِيفِ بِذَلِكَ كَانَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ جِبْرِيلَ لَقِيَ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهُوَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ فَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ... وَأَضَاةُ بَنِي غِفَارٍ...هُوَ مستنقع المَاء كالغدير...وَهُوَ مَوْضِعٌ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ يُنْسَبُ إِلَى بَنِي غِفَارٍ."[2]

فَالتَّنوُّع في القِرَاءَات– إذًا– لَمْ يُعْرَفْ في العَهْدِ المَكِّيِّ، وَإِنَّمَا عُرِفَ بَعْدَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ المُبَارَكَةِ؛ فالحَاجَةُ لَمْ تَكُنْ قَائِمَةً لأنْ تَتَعَدَّد القِرَاءَاتُ في العَهْدِ المَكِّيِّ، وَالقُرْآنُ إِنَّمَا أُنْزِلَ بِلِسَانِهِم وَعَلَى مَا جَرَتْ عَلَيْهِ عَادَاتُهُم في النُّطْقِ الذي هُوَ أَفْصَحُ مَا انْتَهَتْ إِلَيْهِ لُغَاتُ العَرَبِ جَمِيعًا.

وَبِالإِضَافَةِ لِكَوْنِ تَعَدُّد وُجوهِ القِرَاءَاتِ جَاءَ لِتَيْسِيرِ قِرَاءَةِ القُرْآنِ عَلَى النَّاسِ، لِيَسْتَطِيعَ كُلُّ عَرَبِيٍّ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ بِأَحْرُفِهِ وَكَلِمَاتِهِ التي اعْتَادَ عَلَيْهَا مِنْ لَحْنِ قَوْمِه، فَقَدْ أَوْجَدَ ذَلِكَ التَّعَدُّدُ ضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ الإِعْجَازِ القُرْآنِيِّ؛ ذَلِكَ الإِعْجَازُ الذي تَمَثَّلَ في تَحَدٍّ لِلْعَرَبِ كَافَّةً لِيُعَارِضوا القُرْآنَ الكَرِيمَ– إِنْ اسْتَطَاعُوا– فَلَوْ كَانَ إِنْزَالُ القُرْآنِ اقْتَصَرَعَلَى لُغَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانَتْ تِلْكَ اللُّغَةُ هِيَ أَفْصَحَ لُغَاتِ العَرَبِ جَمِيعًا وَأَعْلاهَا، مَا كَانَ يَسْتَقِيمُ التَّحَدِّي لِلْعَرَبِيِّ مِنْ غَيْرِأَهْلِ قُرَيْشٍ– وَالتي قَدْ تَكُونُ لُغَتُهُ بِمَنْزِلَةٍ أَدْنَى في الفَصَاحَةِ مِنَ اللغَةِ التي نَزَلَ بِهَا القُرْآنُ– أَنْ يَتَحَدَّى القُرْآنَ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ آيَاتُهُ مِنْ مَعَانٍ؛

---

١ – فَتْحُ البَارِي : ابْنُ حَجَر العَسْقَلاني، ٩/٩ .

٢ – المَصْدَرُ السَّابِقُ : ٢٨/٩ .

فَكَانَ مِنْ تَمَامِ الإِعْجَازِ أَنْ يَتَنَزَّلَ القُرْآنُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ حَرْفٍ؛ لِيُعجز العَرَبَ كَافَّةً عَنْ مُعَارَضَتِه والإِتْيانِ بِمِثْلِه، أَوْ حَتَّى بِآيَةٍ مِنْ مِثْلِه، وَفِي هَذَا يَقُولُ الرَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ :

"وَإِذَا تَمَّ هَذَا النَّظْمُ لِلْقُرْآنِ مَعَ بَقَاءِ الإِعْجَازِ الذي تَحَدَّى بِهِ، وَمَعَ اليَأْسِ مِنْ مُعَارَضَتِهِ عَلَى مَا يَكُونُ فِي نَظْمِهِ مِنْ تَقَلُّبِ الصُّوَرِ اللفْظِيَّةِ فِي بَعْضِ الأَحْرُفِ وَالكَلِمَاتِ بِحَسَبِ مَا يُلائِمُ الأَحْوَالَ فِي مَنَاطِقِ العَرَبِ، فَقَدْ تَمَّ لَهُ التَّمَامُ كُلُّهُ، وَصَارَ إِعْجَازُهُ إِعْجَازًا لِلْفِطْرَةِ اللُّغَوِيَّةِ فِي نَفْسِهَا، حَيْثُ كَانَتْ، وَكَيْفَ ظَهَرَتْ، وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرِهَا."[1]

وَبِذَلِكَ يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ عَمَلَ عُثْمَانِ بن عَفَّانٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَتَلَخَّصُ فِي حَمْلِ النَّاسِ عَلَى القِرَاءَةِ بِوَجْهٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ عَلَى ضَوْءِ مَا نَزَلَ بِهِ القُرْآنُ، وَعَلَى ضَوْءِ مُوافَقَةِ الصَّحَابَةِ- بِلُغَاتِهِم المَخْصُوصَةِ المُخْتَلِفَةِ- عَلَى سُلُوكِ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ذَلِكَ السَّبِيلَ، بِغَرَضِ تَوحِيدِ المُسْلِمِين- مِنْ خِلالِ نَظْرَةٍ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ ثَاقِبَةٍ- عَلَى مَنْهَجٍ وَاحِدٍ فِي فَهْمِ القُرْآنِ، وَتَجَنُّبِ حُدُوثِ فُرْقَةٍ بَيْنَهُمْ بِتَقَادُمِ العَهْدِ بِالقُرْآنِ الكَرِيمِ.

وَمِمَّا يُذْكَرُ أَنَّ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَدْ تَرَكَ لِلْصَّحَابَةِ حُرِّيَّةَ القِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ الكَرِيمِ بِمَا يُخَالِفُ خَطَّ المُصْحَفِ العُثْمَانِيّ، وَذَلِكَ بَعْدَ تَأَكُّدِ ثُبُوتِ وَصِحَّةِ رِوايَتِهِ عَنْ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَذَلِكَ كَانَ مَعَ الحِرْصِ الشَّدِيدِ عَلَى تَعْلِيمِ القُرْآنِ الكَرِيمِ لِعَامَّةِ المُسْلِمِين مِنَ المُصْحَفِ الذي نَشَرَهُ عُثْمَانُ فِي الأَمْصَارِ عَلَى قِرَاءَةٍ وَاحِدَةٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ إِقْرَارِ الصَّحَابَةِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- بِصِحَّةِ القِرَاءَةِ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ العَرَبِيَّةِ المَخْصُوصَةِ دُونَ غَيْرِهَا .

وَقَدْ كَانَ تَرْكُ عُثْمَانَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لِلصَّحَابَةِ قِرَاءَةَ القُرْآنِ بِمُخْتَلَفِ الحُرُوفِ الأُخْرَى التي ثَبُتَ صِحَّةُ سَمَاعِهَا مِنَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِشَكْلٍ خَاصٍّ وَفِي نِطَاقٍ ضَيِّقٍ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ تَحْظَ القِرَاءَاتُ المُخَالِفَةُ لِمُصْحَفِ عُثْمَانَ إِلاّ بِنَقْلِ الآحَادِ؛ لأَنَّهُ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَلْزَمَ العَامَّةَ مِنَ المُسلمين بِالقِرَاءَةِ مِنَ المُصْحَفِ الذي اخْتَارَ حُرُوفَهُ وَوَافَقَهُ عَلَيْهِ جُمْهُورُ الصَّحَابَةِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مَكِّيٌّ بن أَبي طَالِب: " وَسَقَطَ العَمَلُ بِالقِرَاءَاتِ التي تُخَالِفُ خَطَّ المُصْحَفِ، فَكَأَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِالإِجْمَاعِ عَلَى

---

١ – إِعْجَازُ القُرْآنِ وَالبَلاغَةُ النَّبَوِيَّةِ : مُصْطَفَى صَادِق بن عبد الرَّزَّاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرَّافِعِيُّ (ت: ١٣٥٦هـ)، ص٣٥، ط. دار الكِتَابِ العَرَبِيِّ، بيروت، ط ٨، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م .

خَطِّ المُصْحَف. وَالنَّسْخُ لِلقُرْآنِ بِالإجْمَاعِ فِيهِ اخْتِلافٌ؛ فَلِذَلِكَ تَمَادَى بَعْضُ النَّاسِ عَلَى القِرَاءَةِ بِمَا يُخَالِفُ خَطَّ المُصْحَفِ مِمَّا ثَبُتَ نَقْلُهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِجَيِّدٍ وَلا بِصَوَابٍ؛ لأَنَّ فِيهِ مُخَالَفَةَ الجَمَاعَةِ، وَفِيهِ أَخْذُ القُرْآنِ بِأَخْبَارِ الآحَادِ، وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ."[1]

وَبِهَذَا العَمَلُ المُنَظَّمُ وَالدَّقِيقُ، وَمِنْ خِلالِ هَذَا الجُهْدِ العَظِيمِ اخْتُزِلَت القِرَاءَاتُ التي اتَّسَعَتْ وَتَنَوَّعَتْ في زَمَنِ عُثْمان– رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– فَسَقَطَ الكَثِيرُ مِنَ القِرَاءَاتِ التي خَالَفَتْ خَطَّ المُصْحَفِ العُثْمَانِيِّ الذي أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى صِحَّتِهِ والإقْرَارِ بِالقِرَاءَةِ بِهِ، وَمَضَى المُسْلِمونَ يَتَلَقُّونَ القُرْآنَ بِقِرَاءَاتِهِ مِنْ عُلَمَاءِ التَّابِعِين وَتَابِعِي التَّابِعين عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مُتَمَثِّلٍ في ذَلِكَ الذي خُطَّ بِهِ المُصْحَفُ العُثْمَانِيُّ، جِيلاً بَعْدَ جِيل، مُتَحَرِّينَ الدِّقَّةَ في الرِّوَايَةِ، مُعْتَمِدِينَ في ذَلِكَ عَلَى المُشَافَهَةِ وَالسَّمَاعِ، لا عَلَى الدِّرَايَةِ والاجْتِهَادِ؛ وَفي ذَلِكَ يَقولُ ابنُ مُجَاهد:" وَالْقِرَاءَة الَّتِي عَلَيْهَا النَّاس بِالْمَدِينَة وَمَكَّة والكوفة وَالْبَصْرَة وَالشَّام هِيَ الْقِرَاءَة الَّتِي تَلَقُّوهَا عَنْ أَوَّلِيهِم تَلَقِّيًا، وَقَامَ بِهَا فِي كل مصْر مِنْ هَذِه الْأَمْصَار رَجُلٌ مِمَّنْ أَخَذَ عَنْ التَّابِعين، مِمَّنْ أَجْمَعت الْخَاصَّةُ وَالعَامَّةُ عَلَى قِرَاءَتِه، وَسَلَكوا فِيهَا طَرِيقَهُ وَتَمَسَّكوا بِمَذْهَبِهِ عَلَى مَا رُوِىَ عَنْ عُمَر بن الْخَطَّاب وَزيد بن ثَابت وَعُرْوَة بن الزُّبَيْر وَمُحَمَّد بن الْمُنْكَدر وَعُمَر بن عَبْد الْعَزِيز وَعَامِر الشّعبيّ."[2]

هَذَا، وَيَجْدُرُ القَوْلُ بِأَنَّ القِرَاءَاتَ القُرْآنِيَّةَ قَدْ انْتَقَلَتْ مِنْ طورِ الرِّوَايَةِ المُجَرَّدَةِ إِلَى طورِ التَّدْوِينِ وَالتَّأْلِيفِ في القَرْنِ الثَّانِي الهِجْرِيِّ، وَكَانَ يَحْيَى بن يَعْمُر (ت: ٨٩هـ) أَوَّلَ مَنْ نُسِبَ إِلَيْهِ التَّأْلِيفُ في عِلْمِ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ، ثُمَّ تَوالَتْ المُؤَلَّفَاتُ في العِلْمِ – عَيْنِه– وَتَنَوَّعَتْ؛ فَكَانَ مِنْ بَيْنِ أَشْهَرِ الذينَ أَلَّفُوا فيه: أَبَانُ بن تَغْلَب (ت: ١٤١هـ)، وَمُقَاتِلُ بن سُلَيْمان (ت: ١٥٠هـ)، وَزَائِدَةُ بن قُدَامَةَ الثَّقَفِي (ت: ١٦١هـ)، وَغَيْرُهُم مِمَّنْ أَفْرَدُوا مُؤَلَّفَاتٍ بِأَكْمَلِهَا في القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ وَحْدَهَا؛ وَيُمَثِّلُ لِهؤلاءِ أبو عُبَيدٍ القَاسِمُ

---

١ – الإبَانَةُ عَنْ مَعَانِي القِرَاءَاتِ : مَكِّيُ بن أبي طَالِب، ص٤٢ .

٢ – كِتَابُ السَّبْعَةُ في القِرَاءَاتِ : أبو بكر أحمد بن موسى بن العَبَّاس بن مُجَاهد التَّميمى البغدادى (ت: ٣٢٤هـ)، ص٤٩، تحقيق شوقى ضيف، ط. دار المَعَارِف، مصر،ط٢،سنة١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

بن سَلاَّم (ت: ٢٢٤هـ)، ثُمَّ تَتَابَعَتْ المُؤَلَّفَاتُ في هَذَا العِلْمِ حَتَّى عَصْرِ ابنِ مُجَاهِد (ت ٣٢٤هـ) وَالذي كَانَ لَهُ أَثَرٌ كَبيرٌ في تَوْجِيهِ الاهْتِمامِ وَالتَّأليفِ فيه. [١]

١ – انظر القِرَاءاَت القُرْآنِيَّة وَأَثَرُهَا في الدِّرَاسَاتِ النَّحْوِيَّةِ : د. عبد العال سالم مَكْرَم، ص٢٧–٣٢، ط. مُؤسَّسَةِ الرِّسالة، بيروت، ط٣، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

**** المبْحَثُ الثَّاني : مَفْهُومُ الاخْتلاف في القِرَاءَات القُرْآنيَّة عنْدَ العُلَمَاء**

لَقَدْ نَالَتْ مَسْأَلَةُ الأَحْرُف السَّبْعَة وَالأَحَاديث النَّبويَّة اهْتمَامَ عُلَمَاء المُسْلمينَ؛ فَقَدْ اجْتَهَدَ الكَثيرونَ منَ المُحَقِّقينَ نَفْيَ وُجود تَنَاقُض أوْاخْتلاف أوْ تَدَافُع بَيْنَ القِرَاءَات المَأْثُورَة التي قَرَأَ بهَا النَّبيُّ– صلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ– عَلَى أَصْحَابه وفْقَ لَهْجَاتهم المُخْتَلفَة؛ فَدَحَضُوا شُبُهَاتَ المُغْرضينَ منَ المُسْتَشْرقينَ وَمَنْ تَبعَهُمْ منَ الجُهَلاء، وَالمُقَلِّدينَ، وَأَصْحَاب الأَهْواء البَاطلَة، ممَّنْ حَاوَلُوا التَّشْكيكَ في القُرْآن الكَريم منْ خلال إثْبَات وُجود اضْطِّراب فيه، وَوُجُود تَنَاقُض بَيْنَ آيَاته. ويُمَثِّلُ لهَؤلاء المُسْتَشْرقُ (جولد تسيهر)[1]؛ وَالذي لَمَّحَ في بَعْض مَواضع كتَابه (مَذَاهبُ التَّفْسير الإسْلاميِّ) تَارَةً إلَى أنَّ تَعَدُّدَ القِرَاءَات القُرْآنيَّة يَتَضَمَّنُ تَنَاقُضًا يَدْعُو للشَّك في الإيمان بأنَّ القُرْآنَ الكَريمَ كتَابٌ سَمَاويٌّ، أوْحَى اللهُ به لنَبيِّه دُونَ أي تَدَخُّل بَشَريٍّ؛ ويُمَثِّلُ لذَلكَ قَوْلُهُ: " لا يُوجَدُ كتَابٌ تَشْريعيٌّ اعْتَرَفَتْ به طَائفَةٌ دينيَّةٌ اعْترَافًا عَقَديًّا أنَّهُ نَصٌّ مُنَزَّلٌ أوْ مُوحَى به، يُقَدَّمُ نَصُّهُ في أَقْدَم عُصُور تَدَاوُله مثْلَ هَذه الصُّورَة منَ الاضْطِّرَاب، وَعَدَم الثَّبَات كَمَا نَجدُ في نَصِّ القُرْآن."[2]

وَهُوَ يُصَرِحُ في الكتَاب– ذَاته– تَارَةً أُخْرَى في بَعْض المَواضع بمَذْهَبه الوَاهي؛ وَالذي يَدْعُو إلَى القَوْل بوجُود ذَلكَ التَّنَاقُض بَيْنَ القِرَاءَات القُرْآنيَّة، عَارضًا أَكْثَرَ منْ قرَاءَة لآيَات قُرْآنيَّة بعَيْنهَا، مُأَوِّلاً كُلَّ قرَاءَة عَلَى مَعْنًى بَعيد مُخَالف لغَيْرهَا منْ قرَاءَات؛

---

١ – إجناس كولد صهر (Ignaz Goldziher): مستشرق مجري مَوسَويّ، يُلْفَظُ اسْمُهُ بالألْمَانيَّة (اجناتس جولد تسيهر). لَهُ العَديدُ منَ المُصَنَّفَات، رَحَلَ إلَى سُورية وفلَسْطين ومصْر، وَعُيِّنَ أُستَاذًا في جَامعَة بودابسْت (عَاصمَةُ المَجَر). توفي سنة ١٩٢١م. لَهُ تَصَانيفٌ باللغَات الألْمَانيَّة والإنكليزيَّة وَالفرنْسيَّة، في(الإسْلام) وَ(الفقْه الإسْلاميِّ) وَ(الأدَب العَرَبيِّ)، وَقَدْ تُرْجمَ بَعْضُهَا إلَى العَرَبيَّة، وَممَّا نَشَرَهُ بالعَرَبيَّة (ديوانُ الحَطيئَة)، وَجُزْءٌ كَبيرٌ منْ كتَاب (فَضَائحُ البَاطنيَّة) وَالمَعْروفُ بـــ (المُسْتَظْهريُّ)، للغَزَالي. وَقَدْ نَشَرَتْ مَدْرَسَةُ اللغَات الشَّرْقيَّة بپَاريس كتَابًا بالفرنْسيَّة في مُؤَلَّفَاته وَآثَاره. انظر الأعْلامُ– قَاموسُ تَرَاجم لأَشْهَر الرِّجَال وَالنِّسَاء منَ العَرَب وَالمُسْتَعْرِبينَ وَالمُسْتَشْرقينَ: خَيْرُ الدِّين بن مَحْمُود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس الزِّرِكْليُّ الدِّمَشْقيُّ (ت: ١٣٩٦هـــ)، ٨٤/١، ط. دار العلْم للملايين، بيروت، ط ٥، سنة ١٤٠٠هـــ/١٩٨٠م .

٢ – مَذَاهبُ التَّفْسير الإسْلاميِّ: جولد تسيهر، تَرْجَمَةُ د.عبد الحليم النَّجَّار،ص٤٠، ط.مطبعة السُّنَّة المُحَمَّدية،القاهرة، سنة ١٣٧٥هـــ/١٩٥٥م .

وَيُمَثِّلُ لِذَلِكَ عَرْضُهُ لِلقِرَاءَاتِ التي وَرَدَتْ في قَوْلِه تَعَالَى:{الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ}[1]،فَقَدْ أَشَارَ إِلَى وُجود اخْتِلاف في قِرَاءَة: (غلب الروم، و سيغلبون) بِالبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ وَالمَجْهُولِ فِيهَا، وَقَدْ أَخَذَ يَصِفُ القِرَاءَتَيْن بِالتَّنَاقُضِ،إذ يقول:" إِنَّ القِرَاءَتَيْنِ مُتَنَاقِضَتَانِ في المَعْنَيَ، المَغْلوبُونَ في القِرَاءَةِ المَشْهُورَةِ هُم الغَالِبُونَ في القِرَاءَةِ الأُخْرَى."[2]

وَلا غَرَابَةَ في مَسْلَكِه هَذَا، فَقَدْ صَرَّحَ بِأَقْبَحِ وَأَسْفَه مِنْ ذَلِكَ، ممَّا يَدُلُّ عَلَى جَهْلِه بِهَذَا المَجَالِ، وَجَهْلِه بِمَا يَلْزَمُ إِتْقَانُهُ لِمَنْ يَرْغَبُ في الخَوْضِ في هَذَا العِلْمِ الشَّرِيف مِنْ إِتْقَانِ لِقَواعِدِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة، وَتَبَحُّرٍ في لَهْجَاتِ العَرَبِ، وَمَعْرِفَةٍ لِلأَوْضَاعِ التي اسْتَخْدَمُوا فِيهَا اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ في مُخَاطَبَاتِهِم اليَوْمِيَّةِ وَمُعَامَلاتِهِم. هَذَا في حَالِ اسْتِبْعَادِ احْتِمَالَ فَسَادِ نِيَّتِه وَقَصْدِه السَّيِّءْ بِالطَّعْنِ في القُرْآنِ وَالقِرَاءَاتِ؛ فَهُوَ يَقول:" وَقَدْ رَأَى قَتَادَةُ أَنَّ الأَمْرَ بِقَتْلِ النَّفْسِ أَوْ قَتْلِ العُصَاةِ في قَوْلِه تَعَالَى:{فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}[3]، هُوَ مِنَ القَسْوَةِ وَالشِّدَّةِ بِحَيْثُ لا يَتَنَاسَبُ مَعَ الفِعْلِ، فَقَرَأَ:(فَاقْيُلُوا أَنْفُسَكُمْ)؛ أي: حَقِّقُوا الرُجُوعَ وَالتَّوْبَةَ مِنَ الفِعْلِ بِالنَّدَمِ، وَفي هَذَا المِثَالِ نَرَى وِجْهَةَ نَظَرٍ مَوْضُوعِيَّةٍ كَانَتْ سَبَبًا أَدَّى إِلَى القِرَاءَةِ المُخَالِفَةِ. "[4]فجولد تسيهر يَطْعَنُ في القِرَاءَةِ المَشْهورَةِ، وَيَصِفُ قِرَاءَةَ قَتَادَة – مَعَ أَنَّهَا شَاذَّةٌ [5]– بِالمَوْضُوعِيَّة، وَهُوَ مِنْ جَانِبٍ آخَرٍ يَتَّهِمُ القُرَّاءَ بِالقِرَاءَةِ بِالتَّشَهِّي وَالاجْتِهَادِ، وَكَأَنَّ القِرَاءَةَ لَيْسَتْ سُنَّةً مُتَّبَعَةً، يُعَدُّ الأَصْلُ فِيهَا التَّلَقِّي وَالمُشَافَهَةُ لا الرَّأْيُ وَالاجْتِهَاد.

هَذَا، وَقَدْ ذَهَبَ جُمْهُور عُلَمَاءِ المُسْلِمين إِلَى أَنَّ الاخْتِلافَ في القِرَاءَاتِ هُوَ اخْتِلافُ تَنَوُّعٍ وَتَغَايُرٍ، لا اخْتِلافُ تَضَادٍّ وَتَنَاقُضٍ، وَأَنَّ الاخْتِلافَ حَاصِلٌ في الأَلْفَاظِ المَسْمُوعَةِ وَلَيْسَ في المَعَانِي المَفْهُومَة. وَبِهَذَا صَرَّحَ المَهْدَوِيُّ حِينَ عَرَضَ لِحَدِيثِ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَيْثُ قَال:" إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ

---

١ – سُورَةُ الرُّوم : آيات ١–٣ .

٢ – مَذَاهِبُ التَّفْسِيرِ الإِسْلامِيِّ : جولد تسيهر، ص ١٨ .

٣ – سُورَةُ البَقَرَة : آية ٥٤ .

٤ مَذَاهِبُ التَّفسيرِ الإِسْلامِي : جولد تسيهر، ص٥ .

٥ – انظر مُخْتَصَرٌ في شَوَاذِ القِرَاءَاتِ مِنْ كِتَابِ البَدِيعِ:ابن خالويه(ت:٣٧٠هـ)،ص٦، عُنِيَ بِنَشْرِهِ ج.برجشتراسر، ط.دار الهجرة،(د.ت) .

منْهُ"[1]، إذْ قَال:" وَاخْتَلَفَ النَّاسُ في مَعْنَى الحَديث اخْتِلافًا كَثيرًا؛ فَأَكْثَرُهُم عَلَى أنَّ مَعْنَاهُ في الأَلْفَاظ المَسْمُوعَة لا في المَعَاني المَفْهُومَة."[2]

وَقَولُ المَهْدَويِّ: (أَكْثَرُهُم) لا يَعْني أنَّ القلَّةَ منَ العُلَمَاء قَائلُونَ بالتَّنَاقُض أوْ التَّضَاد أوْ التَّنَافُر في القرَاءَات، وَإنَّمَا يَعْني أنَّ لَهُمْ تَفْسيرَات مُغَايرَة حَوْلَ مَعْنَى الحَديث؛ فَبَعْضُهُم فَسَّرَ الأَحْرُفَ السَّبْعَةَ باللغَات، وَبَعْضُهُم فَسَّرَهَا بالحَلال وَالحَرَام وَالمُحْكَم وَالمُتَشَابه وَغَيْرهَا.[3]

وَقَدْ بَيَّنَ الدَّاني في كتَابه (الأَحْرُفُ السَّبْعَةُ) مَا يَنْبَغي اعْتقَاده في الأَحْرُف السَّبْعَة وَالقرَاءَات الصَّحيحَة المُخْتَلفَة؛ فَقَال:" وَجُمْلَة مَا نَعْتَقدُهُ منَ هَذَا الْبَاب وَغَيْره؛ منْ إنْزَال الْقُرْآن، وَكتَابَته، وَجَمْعه، وَتَأْليفه، وَقراءَته، وَوُجوهه، وَنَذْهَب إلَيْه وَنَخْتَارُهُ فَأَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ عَلَى سَبْعَة أَحْرُف، كُلُّهَا شَاف كَاف، وَحَقٌّ وَصَواب، وَأَنَّ الله تَعَالَى قَدْ خَيَّرَ الْقُرَّاءَ في جَميعهَا، وَصَوَّبَهُمْ إذا قَرَؤوا بشَيْء منْهَا، وَأَنَّ هَذه الأَحْرُفَ السَّبْعَةَ الْمُخْتَلفُ مَعَانيهَا تَارَة وَأَلْفَاظُهَا تَارَة مَعَ اتِّفَاق الْمَعْنَى لَيْسَ فيهَا تضَادٌّ وَلَا تناف للمَعْنَى وَلَا إحَالَةٌ وَلَا فَسَاد."[4]

وَيُذْكَرُ أنَّ الدَّاني كَانَ قَدْ فَصَّلَ رَأْيَهُ المُجْمَلَ السَّابقَ في مَوْضع آخَر منَ الكتَاب– عَيْنه– وَحَصَرَ المَعَاني التي يَشْتَملُ عَلَيْهَا اخْتلافُ القرَاءَات السَّبْعَة، وَذَلكَ حَيْثُ قَال: " وَأَمَّا عَلَى كَمْ مَعْنًى يَشْتَملُ اخْتلَافُ هَذه السَّبْعَة أَحْرُف فَإنَّهُ يَشْتَملُ عَلَى ثَلَاثَة مَعَان يُحيطُ بهَا كُلُّهَا: أَحَدُهَا اخْتلَافُ اللَّفْظ وَالْمَعْنَى الْوَاحد. وَالثَّاني اخْتلَافُ اللَّفْظ وَالْمَعْنَى جَميعًا مَعَ جَوَاز أَنْ يَجْتَمعَا في شَيْءٍ وَاحد لعَدَم تَضَاد اجْتمَاعهمَا فيه.وَالثَّالثُ اخْتلَافُ اللَّفْظ

---

١ – انظر الحَديثَ في سُنَن التِّرْمذيِّ: أَبْوَابُ الْقرَاءَات عَنْ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ ، بَابُ مَا جَاءَ أُنْزلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَة أَحْرُف ،١٩٣/٥، رقم (٢٩٤٣) .

٢ – بَيَانُ السَّبَب المُوجب لاخْتلاف القرَاءَات: أبو العَبَّاس أحمد بن عَمَّار المَهدوي (ت: نحو سنة ٤٤٠هـ)، ص٢٤٠، ضمْن كتاب نُصُوصٌ مُحَقَّقَةٌ في عُلوم القُرْآن الكَريم، تحقيق د. حَاتم الضَّامن، بغداد، سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م٠

٣ – انظر الأحْرُفُ السَّبعَةُ : الدَّاني، ص٥٧–٥٩، وَالإتْقَانُ: السُّيوطيُّ،١٣١/١–١٤١، وَالقرَاءَاتُ القُرْآنيَّةُ وَأَثَرُهَا في الدِّرَاسَات النَّحْويَّة، ص٢٤–٢٩ .

٤ – الأَحْرُفُ السَّبْعَةُ : أبو عَمْروعُثْمان بن سعيد بن عُثْمَان بن عُمَر الدَّاني (ت: ٤٤٤هـ)، ص٦٠، تحقيق د. عبد المُهَيْمن طَحَّان، ط. مَكْتَبَة المَنَارَة، مَكَّة المُكَرَّمَة، ط١، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

وَالْمعْنَى مَعَ امْتنَاعِ جوَازِ أَنْ يَجْتَمِعَا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ لِاسْتِحَالَةِ اجْتِمَاعِهِمَا فِيهِ، وَنَحْنُ نُبَيِّنُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ الله."[1]

وَقَدْ أَفَادَ الإِمَامُ ابْنُ الجزْرِيِّ مِنْ هَذَا التَّأْصِيلِ، فَفَصَّلَ القَوْلَ، وَنَفَى وُجُودَ تَنَاقُضٍ أَوْ تَضَادٍّ أَوْ تَعَارُضٍ بَيْنَ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ السَّبْعَةِ، وَدَلَّلَ عَلَى صِحَّةِ رَأْيِهِ بِأَمْثِلَةٍ مِنَ القُرْآنِ، فَأَظْهَرَ تَبَحُّرًا فِي ذَلِكَ النَّوْعِ الشَّرِيفِ مِنْ عُلُومِ القُرْآنِ، وَذَلِكَ كَانَ فِيمَا نَصُّهُ: "وَأَمَّا حَقِيقَةُ اخْتِلَافِ هَذِهِ السَّبْعَةِ الْأَحْرُفِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهَا مِنَ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَفَائِدَتُهُ، فَإِنَّ الِاخْتِلَافَ الْمُشَارَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافُ تَنَوُّعٍ وَتَغَايُرٍ لَا اخْتِلَافَ تَضَادٍّ وَتَنَاقُضٍ، فَإِنَّ هَذَا مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ– تَعَالَى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[2]، وَقَدْ تَدَبَّرْنَا اخْتِلَافَ الْقِرَاءَاتِ كُلِّهَا فَوَجَدْنَاهَا لَا تَخْلُو مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ: (أَحَدُهَا) اخْتِلَافُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، (الثَّانِي) اخْتِلَافُهُمَا جَمِيعًا مَعَ جَوَازِ اجْتِمَاعِهِمَا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، (الثَّالِثُ) اخْتِلَافُهُمَا جَمِيعًا مَعَ امْتِنَاعِ جَوَازِ اجْتِمَاعِهِمَا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، بَلْ يَتَّفِقَانِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ لَا يَقْتَضِي التَّضَادَّ.

فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَكَالِاخْتِلَافِ فِي (الصِّرَاطَ وَعَلَيْهِمْ وَيُؤَدِّهِ وَالْقُدُسِ وَيَحْسَبُ) وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لُغَاتٌ فَقَطْ..."[3]

وَأَمَّا الثَّانِي فَنَحْوُ:(مَالك، وَمَلِك) فِي الْفَاتِحَةِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ وَمَلِكُهُ وَكَذَا (يُكَذِّبُونَ، وَيَكْذِبُونَ)؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِمَا هُمُ الْمُنَافِقُونَ لِأَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ بِالنَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَيَكْذِبُونَ فِي أَخْبَارِهِمْ...

---

١ – المَصْدَرُ السَّابِقُ : ص٤٧، وَانظر ذَلِكَ التَّبيين الذي أَشَارَ إليه في المَصْدَرِ نَفْسِه، ص٥٠–٥١.

٢ – سُورَةُ النِّسَاء : آية ٨٢ .

٣ – وَرَدَ في الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ للدَّاني، ص٤٧–٤٨ ما نَصُّهُ: "(السِّراطُ) بالسِّينِ وَ(الصِّرَاطُ) بالصَّادِ و(الزِّراطُ) بالزَّاي، و(عَلَيْهِم ،و إِلَيْهِم ، ولديهم) بِضَمِ الْهَاءِ مَعَ إِسْكَانِ الْمِيمِ وَبِكَسْرِ الْهَاءِ مَعَ ضَمِّ الْمِيمِ وَإِسْكَانِهَا، وَ(فيهِ هُدَىً، وَعَلَيْهِ كتر،و منْهُ ءايت، و عَنهُ مَاله) بِصِلَةِ الْهَاءِ وَبِغير صلتها، وَ(يُؤَدِّه إِلَيْك ، وَنُؤْتِهِ منْهَا ،وَفَأَلْقِه إِلَيْهِم) بِإِسْكَانِ الهَاءِ وَبِكَسْرِهَا مَعَ صِلَتِهَا وَاخْتِلاسِهَا، وَ(أكلهَا، فِي الْأَكل) بِإِسْكَانِ الْكَافِ وَبِضَمِّهَا، و{إِلَى ميسرَة} بِضَمِّ السِّينِ وَبِفَتْحِهَا، و{يَعْرُشون} بِكَسْرِ الرَّاء وَبِضَمِّهَا، وَكَذَلِكَ مَا أَشبهه، وَنَحْو ذَلِك الْبَيَان، والإِدْغام وَالْمدّ وَالْقَصْر وَالْفَتْح والإمالة، وَتَحْقِيق الْهَمْز وتخفيفه، وَشَبَهُهُ مِمَّا يُطلق عَلَيْهِ أَنه لُغَات فَقَط ."

وَأَمَّا الثَّالِثُ فَنَحْوَ {وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا}[1]، بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ، وَكَذَا {وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ}[2]، بِفَتْحِ اللَّامِ وَرَفْعِ الْأُخْرَى وَبِكَسْرِ الْأُولَى وَفَتْحِ الثَّانِيَةِ ... فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ وَإِنِ اخْتَلَفَ لَفْظًا وَمَعْنًى وَامْتَنَعَ اجْتِمَاعُهُ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّهُ يَجْتَمِعُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ يَمْتَنِعُ فِيهِ التَّضَادُّ وَالتَّنَاقُضُ." [3]

فَحَاصِلُ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الجزْرِيِّ وَمِنْ قَبْلِهِ الدَّانِي أَنَّ اخْتِلَافَ القِرَاءَاتِ لا يَلْزَمْ أَنْ يُصَاحِبْهُ وُجودُ تَنَاقُضٍ أَوْتَضَادٍّ أَوْاضْطِّرَابٍ فِي المَعَانِي، وَهَذَا مَا أَقَرَّهُ وَاعْتَمَدَهُ عُلَمَاءُ المُسْلِمِين، وَهُوَ مَا أَكَّدَهُ شَيْخُ الإِسلامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ؛ حَيْثُ ذَكَرَأَنَّ إِجْمَاعَ المُسْلِمِينَ مُنْعَقِدٌ عَلَى عَدَمِ وُجودِ تَنَاقُضٍ بَيْنَ القِرَاءَاتِ السَّبْعَةِ؛ وَذَلِكَ حَيْثُ يَقول:" وَلَا نِزَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْحُرُوفَ السَّبْعَةَ الَّتِي أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا لَا تَتَضَمَّنُ تَنَاقُضَ الْمَعْنَى وَتَضَادَّهُ؛ بَلْ قَدْ يَكُونُ مَعْنَاهَا مُتَّفِقًا أَوْ مُتَقَارِبًا كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُود: إنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ أَقْبِلْ وَهَلُمَّ وَتَعَالَ. وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَى أَحَدِهِمَا لَيْسَ هُوَ مَعْنَى الْآخَرِ؛ لَكِنْ كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ حَقٌّ وَهَذَا اخْتِلَافُ تَنَوُّعٍ وَتَغَايُرٍ لَا اخْتِلَافُ تَضَادٍّ وَتَنَاقُضٍ وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا حَدِيث: {أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ إنْ قُلْت: غَفُورًا رَحِيمًا أَوْ قُلْت: عَزِيزًا حَكِيمًا فَاَللَّهُ كَذَلِكَ مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ أَوْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ}. وَهَذَا كَمَا فِي الْقِرَاءَاتِ الْمَشْهُورَةِ ...

وَمِنْ الْقِرَاءَاتِ مَا يَكُونُ الْمَعْنَى فِيهَا مُتَّفِقًا مِنْ وَجْهٍ مُتَبَايِنًا مِنْ وَجْهٍ كَقَوْلِه: (يَخْدَعُونَ وَيُخَادِعُونَ)،و(يَكْذِبُونَ، وَيُكَذِّبُونَ)،و(لَمَسْتُمْ، وَلَامَسْتُمْ)،و(حَتَّى يَطْهُرْنَ، وَيَطَّهَّرْنَ)، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذِهِ الْقِرَاءَاتُ الَّتِي يَتَغَايَرُ فِيهَا الْمَعْنَى كُلُّهَا حَقٌّ، وَكُلُّ قِرَاءَةٍ مِنْهَا مَعَ الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ مَعَ الْآيَةِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا كُلِّهَا، وَاتِّبَاعُ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ الْمَعْنَى عِلْمًا وَعَمَلًا لَا يَجُوزُ تَرْكُ مُوجِبِ إحْدَاهُمَا لِأَجْلِ الْأُخْرَى، ظَنًّا أَنَّ ذَلِكَ تَعَارُضٌ، بَلْ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ." [4]

---

١ – سُورَةُ يُوسُف : آية ١١٠ .

٢ – سُورَةُ إِبْرَاهِيم : آية ٤٦ .

٣ – النَّشْرُ في القِرَاءَاتِ العَشْرِ : ابن الجزري،١/٤٩–٥٠ .

٤ – مَجْمُوعُ الفَتَاوَى: تَقِيُّ الدِّينِ أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تَيْمِيَة الحَرَّانِيُّ (ت: ٧٢٨هـ)، ١٣/٣٩١–٣٩٢، تحقيق عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن قَاسِم، ط. مُجَمَّع المَلِكْ فَهْد لِطِبَاعَةِ المُصْحَفِ الشَّرِيفِ، المَدِينَةُ المُنَوَّرَةُ، المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعودِيَّةُ، سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

هَذَا، وَقَدْ أَشَارَ الإِمامُ ابنُ تَيْمِيَة بَعْدَ عدَّة صفَحَات منَ الكتَاب- عَيْنِه- إِلَى أَنَّ أَئمَّةَ عُلَماءِ السَّلَف، وبَعْضَ الطَوَائفَ منْ أَهْلِ الْكَلَامِ، وَالْقُرَّاءِ، وَغَيْرِهِمْ، قَدْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْأَحْرُفَ السَّبْعَةَ لَا يُخَالفُ بَعْضُهَا بَعْضًا خلَافًا يَتَضَادُّ فيهِ الْمَعْنَى وَيَتَنَاقَضُ؛ بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَمَا تُصَدِّقُ الْآيَاتُ بَعْضُهَا بَعْضًا.[1]

وَقَدْ نَقَلَ الإِمَامُ الزَّرْكَشِيُّ جُمْلَةً منْ هَذه الأَقْوال في كتَابِه (البُرْهَانُ في عُلوم القُرْآن)، ثم علَّقَ علَى مَا أَوْرَدَ منْ أَمْثلَة قائلاً: " إِنَّمَا أَرَادَ بهَذَا ضَرْبَ الْمَثَل للْحُرُوف الَّتي نَزَلَ الْقُرْآنُ علَيْهَا أَنَّهَا مَعَانٍ مُتَّفقٌ مَفْهُومُهَا، مُخْتَلفٌ مَسْمُوعُهَا، لَا يَكُونُ في شَيْءٍ منْهَا مَعْنَى وَضدُّهُ، ولَا وَجْهَ يُخَالفُ مَعْنَى وَجْه خلَافًا يَنْفيه وَيُضَادُّهُ؛ كَالرَّحْمَة الَّتي هيَ خلَافُ الْعَذَاب وَضدُّهُ."[2] وَبذَلكَ فَالاخْتلافُ في القرَاءات القُرْآنيَّة إنَّما هُوَ اخْتلافُ تَنَوُّعٍ وَتَغَايُرٍ لا اختلاف تَنَاقُضٍ وَتَضَادٍّ.

وَقَدْ رَجَّح الإِمَامُ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلاني هَذَا المَعْنَى وَقَوَّاهُ عَلَى غَيْرِه، إِذْ قَالَ في شَرْحه لقَوْله تَعَالَى:{فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ منْهُ}[3] مَا نَصُّهُ:" أَيْ منَ الْمُنَزَّل وَفيه إِشَارَةٌ إِلَى الْحكْمَة في التَّعَدُّد الْمَذْكُور، وَأَنَّهُ للتَّيْسير عَلَى الْقَارئ، وَهَذَا يُقَوِّي قَوْلَ مَنْ قَالَ: الْمُرَادُ بالْأَحْرُف تَأْديَةُ الْمَعْنَى باللَّفْظ الْمُرَادف وَلَوْ كَانَ منْ لُغَة وَاحدَة ؛ لأَنَّ لُغَةَ هشَام بلسَان قُرَيْش وَكَذَلكَ عُمَرُ، وَمَعَ ذَلكَ فَقَد اخْتَلَفَتْ قرَاءَتُهُمَا. نَبَّهَ على ذَلك بن عَبْد الْبَرِّ، وَنَقَلَ عَنْ أَكْثَر أَهْل الْعلْم أَنَّ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ بالْأَحْرُف السَّبْعَة." [4]

وَقَدْ فَصَلَ الإِمَامُ ابْنُ الجزْرِي القَوْلَ في مَسْأَلَة تَعَدُّد القرَاءَات، فَشَدَّدَ عَلَى ضَرُورَة الأَخْذ بكُلِّ مَا صَحَّ نَقْلُهُ منْهَا عَنْ النَّبيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فَقَال: "وَكُلُّ مَا صَحَّ عَنِ النَّبيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- منْ ذَلكَ فَقَدْ وَجَبَ قَبُولُهُ، وَلَمْ يَسَعْ أَحَدًا منَ الْأُمَّة رَدُّهُ وَلَزمَ الْإيمَانُ به، وَإِنَّ كُلَّهُ مُنَزَّلٌ منْ عنْد اللَّه، إِذْ كُلُّ قرَاءَة منْهَا مَعَ الْأُخْرَى بمَنْزلَة الْآيَة

---

١ – انظر المَصْدَرُ السَّابِقُ : ١٣/٤٠١ .

٢ – البُرْهَانُ في عُلومِ القُرْآنِ : أبو عبد الله بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّد بن عبد الله بن بَهَادِر الزَّرْكَشِيُّ (ت: ٧٩٤هـ)، ١/٢٢١، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار إحياء الكُتُبِ العَرَبِيَّةِ – عيسى البابى الحلبي، ط١، سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

٣ – سُورَةُ المُزَّمِّلُ : آية ٢٠ .

٤ – فَتْحُ البَارِي : ابْنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِي، ٩/٢٦ .

مَعَ الْآيَةِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا كُلِّهَا، وَاتِّبَاعُ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْمَعْنَى، عِلْمًا وَعَمَلًا، وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ مُوجِبِ إِحْدَاهُمَا لِأَجْلِ الْأُخْرَى ظَنًّا أَنَّ ذَلِكَ تَعَارُضٌ."[1]

وَقَدْ أَكَّدَ الإِمَامُ الجَلِيلُ ابْنُ الجزْرِيِّ– رَحِمَهُ اللهُ– عَلَى ضَرورَةِ الأَخْذِ بِالقِرَاءَاتِ السَّبْعَةِ كُلِّهَا، وَفَرَّقَ بَيْنَ الاخْتِلاف المَوجود بَيْنَ القُرَّاءِ وَذَلِكَ الآخر المَوجود بَيْنَ الفُقَهَاء؛ فَالأَوَّلُ اخْتِلافُ تَنَوُّعٍ لَيْسَ فِيهِ تَضَادٌّ، وَفِيهِ يُمْكِنُ الجَمْعُ بَيْنَ القِرَاءَاتِ المُخْتَلِفَةِ حَوْلَ كَلِمَةٍ أَوْ جُمْلَةٍ أَوْ تَعْبِيرٍ قُرْآنِيٍّ؛ لأَنَّ فِي كُلٍّ مِنْهَا نَصٌّ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ– سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– أَمَّا الثَّانِي فَفِيهِ اجْتِهَادٌ مِنْ قِبَلِ العُلَمَاءِ الفُقَهَاءِ، وَفِيهِ تُقْبَلُ بَعْضُ الآرَاءِ الفِقْهِيَّةِ دونَ غَيْرِهَا، وفي ذَلِكَ يَقولُ الإِمَامُ ابْنُ الجزْرِيّ: "وَبِهَذَا افْتَرَقَ اخْتِلَافُ الْقُرَّاءِ مِنَ اخْتِلَافِ الْفُقَهَاءِ، فَإِنَّ اخْتِلَافَ الْقُرَّاءِ كُلٌّ حَقٌّ وَصَوَابٌ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ كَلَامُهُ لَا شَكَّ فِيهِ وَاخْتِلَافُ الْفُقَهَاءِ اخْتِلَافٌ اجْتِهَادِيٌّ وَالْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فِيهِ وَاحِدٌ، فَكُلُّ مَذْهَبٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخَرِ صَوَابٌ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ، وَكُلُّ قِرَاءَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأُخْرَى حَقٌّ وَصَوَابٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ نَقْطَعُ بِذَلِكَ وَنُؤْمِنُ بِهِ."[2]

فَالاخْتِلافُ فِي القِرَاءَاتِ حَقٌّ لا تَضَادَّ فيه، وَلا تَدَافُعَ بَيْنَ مَعَانِي الآيَاتِ فِي حَالِ الأَخْذِ بِأَكْثَرِ مِنْ قِرَاءَةٍ لِلَفْظَةٍ قُرْآنِيَّةٍ بِعَيْنِهَا فِي الوَقْتِ ذَاتِه، فَالقُرْآنُ الكَرِيمُ يُمَثِّلُ وَحْدَةً وَاحِدَةً لا انْقِسَامَ فِيهَا وَلا تَضَارُب؛ يَقولُ اللهُ تَعَالَى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا "[3]، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الرَّسولُ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ مِمَّنْ اخْتَلَفُوا فِي قِرَاءَاتِهِم لِبَعْضِ أَلْفَاظِ القُرْآنِ الكَرِيمِ: أَصَبْتُمْ، أَوْ كِلاكُمَا مُحْسِنٌ، أَوْ أَيُّ ذَلِكَ قَرَأْتُمْ أَصَبْتُمْ. وَهُوَ الأَمْرُالذي دَلَّتْ عَلَيْهِ نُقُولُ عُلَمَاءِ المُسْلِمين؛ حَيْثُ بَيَّنُوا أَنَّ إِحْدَى مَقَاصِدِ القِرَاءَاتِ الشَّاذَّةِ تَفْسِيرُ القِرَاءَاتِ المَشْهورَةِ، وَتَبيين مَعَانِيها، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الزَّرْكَشِيُّ :

" قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتَابِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ إِنَّ الْقَصْدَ مِنَ الْقِرَاءَةِ الشَّاذَّةِ تَفْسِيرُ الْقِرَاءَةِ الْمَشْهُورَةِ وَتَبْيِينُ مَعَانِيهَا وَذَلِكَ كَقِرَاءَةِ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ: (حَافِظُوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر)، وَكَقِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا)، وَمِثْلُ قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تربص أربعة أشهر فإنْ فَاءوا

---

١ – النَّشْرُ في القِرَاءَاتِ العَشْرِ : ابْنُ الجزْرِي، ٥١/١ .

٢ – المَصْدَرُ السَّابِقُ : ٥٢/١ .

٣ – سُورَةُ النِّسَاء : آية ٨٢ .

فيهن)، وكَقِرَاءَةِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: (وَإِنْ كَانَ له أخ أو أخت من أم فلكل)، وكَمَا قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الحج). قلت: وكذا قراءته: (وأيقن أنه الفراق)، وَقَالَ: ذَهَبَ الظَّنُّ. قَالَ أَبُو الْفَتْحِ: يُرِيدُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّفْظُ الَّذِي يَصْلُحُ لِلشَّكِّ، وَجَاءَ اللَّفْظُ الَّذِي هُوَ مُصَرِّحٌ بِالْيَقِينِ...وكَقِرَاءَةِ جابر: (فإن الله من بعد إكراههن له غفور رحيم)، فَهَذِهِ الْحُرُوفُ وَمَا شَاكَلَهَا قَدْ صَارَتْ مُفَسِّرَةً لِلْقُرْآنِ. وَقَدْ كَانَ يُرْوَى مِثْلُ هَذَا عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ فِي التَّفْسِيرِ، فَيُسْتَحْسَنُ ذَلِكَ، فَكَيْفَ إِذَا رُوِيَ عَنْ كِبَارِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ صَارَ فِي نَفْسِ الْقِرَاءَةِ، فَهُوَ الْآنَ أَكْثَرُ مِنَ التَّفْسِيرِ وَأَقْوَى، فَأَدْنَى مَا يُسْتَنْبَطُ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ مَعْرِفَةُ صِحَّةِ التَّأْوِيلِ عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْعَامَّةُ فَضْلَهُ، إِنَّمَا يعرف ذلك الْعُلَمَاءُ، وَلِذَلِكَ يُعْتَبَرُ بِهِمَا وَجْهُ الْقُرْآنِ." [1]

فَإِذَا كَانَت القِرَاءَاتُ الشَّاذَّةُ مَا هِيَ إلا تَفْسيرٌ وَشَرْحٌ لِلقِرَاءَاتِ المَشْهورَة، فَكَيْفَ بِالقِرَاءَاتِ الصَّحيحَة التي تَلَقَّتْهَا الأُمَّةُ بِالرِّضَى وَالقَبول. وَعَلَى ذَلِكَ فَالقَوْلُ بِوجودِ تَنَاقُضٍ أَوْاخْتِلافٍ نَاتِجٍ عَنْ تَعَدُّدِ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّة، أَمْرٌ مَرْفُوضٌ مِنْ جَانِبِ النَّقْلِ وَالعَقْل، وَمَنْ يَصْدُرُ مِنْهُ ذَلِكَ الاتِّهَامُ لِمَا صَحَّ نَقْلُهُ مِنْ قِرَاءَاتٍ لا يُوصَفُ إلا بِكَوْنِهِ سَيِّئَ النِّيَّة، أَوْ فَاسِدَ العَقِيدَة، فَآيَاتُ القُرْآنِ إِنَّمَا وَرَدَتْ مُحْكَمَةٌ، يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَتَنَوُّعُ القِرَاءَاتِ يَقُومُ مُقَامَ تَعَدُّدِ الآيَاتِ دُونَ تَنَاقُضٍ أَوْتَضَادٍّ، وَفِي هَذَا يَقولُ الشَّيْخُ الزُّرْقَانِيُّ: "إِنَّ تَنَوُّعَ القِرَاءَاتِ يَقومُ مُقَامَ تَعَدُّدِ الآيَاتِ. وَذَلِكَ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ البَلاغَة، يَبْتَدِىءُ مِنْ جَمَالِ هَذَا الإِيجَازِ وَيَنْتَهِي إِلَى كَمَالِ الإِعْجَازِ، أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ مَا فِي تَنَوُّعِ القِرَاءَاتِ مِنَ البَرَاهِينِ السَّاطِعَة، وَالأَدِلَّةِ القَاطِعَة عَلَى أَنَّ القُرْآنَ كَلامُ الله، وَعَلَى صِدْقِ مَنْ جَاءَ بِه- وَهوُ رَسولُ الله- فَإِنَّ هَذِهِ الاخْتِلافَاتِ فِي القِرَاءَةِ عَلَى كَثْرَتِهَا لا تُؤَدِّي إِلَى تَنَاقُضٍ فِي المَقْرُوءِ، وَتَضَادٍّ، وَلا إِلَى تَهَافُتٍ وَتَخَاذُلٍ، بَلْ القُرْآنُ كُلُّهُ- عَلَى تَنَوُّعِ قِرَاءَاتِه- يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيُبَيِّنُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ، عَلَى نَمَطٍ وَاحِدٍ فِي عُلُوِّ الأُسْلوبِ وَالتَّعْبِيرِ، وَهَدَفٍ وَاحِدٍ مِنْ سُمُوِّ الهِدَايَةِ وَالتَّعْلِيمِ، وَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ يُفِيدُ تَعَدُّدَ الإِعْجَازِ بِتَعَدُّدِ القِرَاءَاتِ وَالحُرُوف.

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ القُرْآنَ مُعْجِزٌ إِذَا قُرِىءَ بِأَيٍّ مِنَ القِرَاءَاتِ الصَّحيحة، وَمِنْ هُنَا تَتَعَدَّدُ المُعْجِزَاتُ بِتَعَدُّدِ تِلْكَ الوجُوهِ وَالحُروف. وَلا رَيْبَ أَنَّ ذَلِكَ أَدَلُّ عَلَى صِدْقِ مُحَمَّد؛ لأَنَّهُ

---

١ – البُرْهَانُ في عُلومِ القُرْآنِ : الزَّرْكَشِيُّ، ١/ ٣٣٦–٣٣٨ .

أَعْظَمُ في اشْتِمَالِ القُرْآنِ عَلَى مَنَاحٍ جَمَّةٍ في الإعْجَازِ، وَفي البَيَانِ عَلَى كُلِّ حَرْفٍ وَوَجْهٍ وَبُكلِّ لَهْجَةٍ وَلِسَانٍ، {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ }"[1]؛ فَالْقُرآنُ الْكَرِيمُ بِمَثَابَةِ" سِلْسِلَةٍ وَاحِدَةٍ، مُتَّصِلَةُ الحَلَقَاتِ، مُحْكَمَةُ السُّوَرِ، وَالآيَاتُ مُتَآخِذَةُ المَبَادِىءِ وَالغَايَاتِ، مَهْمَا تَعَدَّدَت طُرُقُ قِرَاءَتِه، وَمَهْمَا تَنَوَّعَتْ فُنُونُ أَدَائِه."[2]

١ – سُورَةُ الأَنْفَالِ : آية ٤٢ ، وَمَنَاهِلُ العِرْفَان في عُلومِ القُرْآنِ : مُحَمَّد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، ١٤٩/١، ط. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط٣، (د.ت)، وانظر تَحْرِيرُ المَعْنَى السَّدِيدِ وَتَنْوِيرُ العَقْلِ الجَدِيدِ مِنْ تَفسيرِ الكِتَابِ المَجِيدِ (التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِير): مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٢هـ)، مُقَدِّمَةُ الكِتَابِ،٥٤/١، ط. الدَّارُ التُّونِسِيَّةُ لِلنَّشْرِ، بيروت، سنة ١٩٨٤م .

٢ – مَنَاهِلُ العِرْفَان : الزُّرْقَانِيُّ، ١٨٥/١ .

**** المبْحَثُ الثَّالثُ : القِرَاءَاتُ وَالمعْنَى**

لمَّا كَانَتْ ظَاهِرَةُ قَبولِ التَّنوُّعِ في القِرَاءَاتِ تَهُدفُ- كَمَا سَبَقَ الذِّكْرُ في المَبْحَثَيْنِ السَّابِقَيْنِ- إِلَى التَّيْسيرِ عَلَى المُسْلِمينَ في قِرَاءَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، ولَمَّا كَانَت تِلْكَ الظَّاهِرَةُ تُسْهِمُ في رَفْعِ الحَرَجِ عَنْ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ في مُوَاجَهَةِ المُبْغِضينَ مِنَ المُشَكِّكينَ في سَمَاوِيَّةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ مِنَ المُضَلِّلينَ مِنَ المُسْتَشْرِقِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ العَرَبِ، ممَّنْ يَسْعَونَ لِهَدْمِ الدِّينِ الإِسْلامِيِّ وَغَيرِهِمْ مِنَ الجُهَلاءِ الذينَ لَمْ يَتَبَحَّرُوا في مَجَالِ عُلومِ القُرْآنِ؛ فَقَدْ نَتَجَ عَنْ ذَلِكَ بَعْضُ الجَوانِبِ التي مَيَّزَتْ القُرْآنَ الكَرِيمَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ التي سَبَقَتْهُ، وَغَيْرِهَا مِنْ مُؤَلَّفَاتِ البَشَرِ في النَّثْرِ وَالشِّعْرِ.

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الجَوانِبِ جَانِبٌ مُهِمٌّ؛ وَهُوَ محْورُ حَديثِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ؛ وَأَقْصُدُ بِذَلِكَ (تَعَدُّدَ المَعَاني بِتَعَدُّدِ القِرَاءَاتِ)؛ فَقَدْ نَتَجَ عَنْ كُلِّ قِرَاءَةٍ مَعْنًى جَديدًا لَمْ تَكْشِف عَنْهُ غَيْرُهَا مِنْ قِرَاءَاتٍ وَرَدَتْ وَصَحَّ الأَخْذُ بِهَا في لَفْظَةٍ أَوْ جُمْلَةٍ قُرْآنِيَّةٍ مَا. وَقَدْ نَتَجَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّه اتِّسَاعٌ في المَعَانِي بِتَعَدُّدِ القِرَاءَاتِ.

وَالاخْتِلافُ وَالتَّنوُّعُ في القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ يُشْبِهُ إِلَى حَدٍّ كَبيرٍ ظَاهِرَةَ تِكْرَارِ القَصَصِ القُرْآنِيِّ؛ فَكُلُّ آيَةٍ تَكَرَّرَ إِيرَادُهَا أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ في القُرْآنِ الكَرِيمِ احْتَوَتْ عَلَى مَعْنًى جَديدًا لَمْ يَظْهَرْ في مَحَلِّ إِيرَادِهَا في المَرَّةِ الأُولَى، وَكُلُّ وَاقِعَةٍ وَرَدَتْ في القُرْآنِ الكَرِيمِ إِنَّمَا تَكَرَّرَتْ لِتَكْشِفَ عَنْ مَلْمَحٍ جَدِيدٍ مِنْ مَلامِحِ القِصَّةِ لَمْ يَكْشِفْ عَنْهُ مَا وَرَدَ فِيهَا مِنْ آيَاتٍ سَبَقَتْ ذَلِكَ المُكَرَّرُ؛ فَفي قِصَّةِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ- عَلَيْهِ السَّلامُ- مَعَ ضُيُوفِهِ مَا يُجَلِّي هَذَا المَقْصِدَ؛ فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في سُورَةِ (هُود) رُسُلَهُ، وَبَيَّنَ- جَلَّ شَأْنُهُ- كَيْفِيَّةَ قُدُومِهِم عَلَى إِبْرَاهِيمَ- عَلَيْهِ السَّلامُ- فَقَالَ تَعَالَى:{وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ}[1]،وَقَالَ- عَزَّ وَجَلَّ- في سُورَةِ الذَّارِيَاتِ:{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ}.[2]

نُلاحِظُ في الآيَاتِ السَابِقَةِ في (سُورَةِ هُود) أَنَّ اللهَ- تَعَالَى- يُخْبِرُنَا أَنَّهُ- جَلَّ شَأْنُهُ- أَرْسَلَ رُسُلَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، بَيْنَمَا يُخْبِرُنَا- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في (سُورَةِ الذَّارِيَاتِ) بِجِنْسِ هَؤُلاءِ الرُّسُلِ- وَهُمْ المَلائِكَةُ- وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُم كَانُوا عَلَى هَيْئَةِ البَشَرِ. وَمِنْ زَاوِيَةٍ أُخْرَى

---

١ - سُورَةُ هُود : آية ٦٩ .

٢ - سُورَةُ الذَّارِيَات : آيات ٢٤-٢٦ .

لِلْحكَايَةِ نَرَى في (سُورَةِ هُود) أنَّ إبْراهيمَ- عَلَيْهِ السَّلامُ- يُقَدِّمُ لِضَيْفِهِ عِجْلاً يَصِفُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالحَنِيذِ؛ وَالحَنِيذُ: هُوَ العِجْلُ الْمَشْوِيُّ بِحَرِّ الْحِجَارَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَمَسَّهُ النَّارُ، ممَّا يَجْعَلُ شَحْمَهُ يَتَقَاطَرُ حَتَّى تُنْضِجُهَا[1]، بَيْنَمَا نُلاحِظُ أنَّ وَصْفَ العِجْلِ- ذَاتِهِ- في (سُورَةِ الذَّارِيَاتِ) يُظْهِرُ أنَّ العِجْلَ كانَ سَمِينًا، وَأنَّهُ لَيْسَ بِالهَزِيلِ، وَهَذَا قِمَّةُ إكْرامِ الضَّيْفِ. فَكُلُّ آيَةٍ- إذًا- أَعْطَتْ مَعْنًى جَدِيدًا لَمْ تُبَيِّنْهُ الآيَةُ الأُخْرَى، وَكُلُّ مَعْنًى أَسْهَمَ في الكَشْفِ عَنْ جَانِبٍ مَخْصُوصٍ مِنْ جَوانِبِ القِصَّةِ القُرْآنِيَّةِ.

وَالأَمْرُ- نَفْسُهُ- يَتَكَرَّرُ في قِصَّةِ سَيِّدِنَا مُوسَى- عَلَيْهِ السَّلامُ- فَقَدْ ذُكِرَتْ في مَواطِنَ كَثِيرَةٍ مِنَ القُرْآنِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ في (سُورَةِ الأَعْرَافِ)؛ حَيْثُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ}[2]، وَمِنْهُ مَا وَرَدَ في (سُورَةِ النَّمْلِ)؛ حَيْثُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ}.[3]

وَلَمَّا كَانَ (الجَانُّ) يَعْنِي: الصَّغِيرُ مِنَ الحَيَّاتِ، وَكَانَ الثُّعْبَانُ يَعْنِي: الكَبِيرُ مِنَ الحَيَّاتِ، وَلَمَّا كَانَ هُنَاكَ مِنَ المُشَكِّكِينَ مَنْ افْتَرَضَ وُجُودَ تَعَارُضٍ بَيْنَ الآيَتَيْنِ لاخْتِلافِ وَصْفِ حَجْمِ الحَيَّةِ في كِلْتَا الآيَتَيْنِ؛ فَقَدْ أَزَالَ المُحَقِّقُونَ مِنَ المُفَسِّرِينَ مَا قَدْ يُظَنُّ وجُودَ تَعَارُضٍ فِيهِ؛ وَيُمَثِّلُ لِذَلِكَ مَا أَوْرَدَهُ الزَّرْكَشِيِّ في كِتَابِهِ (البُرْهَانُ في عُلومِ القُرْآنِ، وَذَلِكَ كَانَ فِيمَا نَصُّهُ:" وَذَلِكَ لِأَنَّ خَلْقَهَا خَلْقُ الثُّعْبَانِ الْعَظِيمِ وَاهْتِزَازَهَا وَحَرَكَاتِهَا وَخِفَّتَهَا كَاهْتِزَازِ الْجَانِّ وَخِفَّتِه." [4]

فَآيَةُ (الأَعْرَافِ) بَيَّنَتْ شَكْلَ الحَيَّةِ وَهَيْئَتَهَا وَخِلْقَتَهَا،أَمَّا آيَةُ (النَّمْلِ) فَقَدْ بَيَّنَتْ حَالَ تَحَرُّكِهَا وَاهْتِزَازِهَا. وَبِذَلِكَ فَإِنَّ كُلَّ آيَةٍ تَضَمَّنَتْ كَشْفًا عَنْ وَصْفٍ جَدِيدٍ لَمْ تُبَيِّنْهُ الآيَةُ الأُخْرَى. وَعَلَى هَذَا المِنْهَاجِ المَقْبُولِ يَجِبُ تَفْسِيرُ كُلِّ الآيَاتِ وَالقِصَصِ القُرْآنِيَّةِ التي تَكَرَّرَ إيرَادُهَا أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ في القُرْآنِ الكَرِيمِ؛ فَلا خِلافَ وَلا تَنَاقُضَ بَيْنَ الآيَاتِ

---

١ – انظر الجَامِعُ لأَحْكَامِ القُرْآنِ : شَمْسُ الدِّينِ أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرَح الأَنْصَارِيُّ الخَزْرَجِيُّ القُرْطُبِيُّ (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البَرْدُوني، ٦٣/٩ وإبراهيم أَطْفَيش ط. دار الكُتُب المَصْرِيَّة ، القَاهِرَة، ط٢، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٦٤م .

٢ – سُورَةُ الأَعْرَاف : آية ١٠٧ .

٣ – سُورَةُ النَمْل : آية ١٠ .

٤ – البُرْهَانُ في عُلومِ القُرْآنِ: الزَّرْكَشِيُّ، ٥٥/٢ .

القُرْآنِيَّةِ التي تَكَرَّرَتْ في أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ في القُرْآنِ الكَرِيمِ، فَكُلُّ آيَةٍ لَهَا مَعْنًى بِعَيْنِهِ يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ القُرْآنِيُّ الذي وَرَدَتْ فِيهِ، وَكُلُّ آيَةٍ لَهَا غَايَةٌ جَدِيدَةٌ لا تَتَكَرَّرُ فِيمَا سِوَاهَا.

وَالاخْتِلافُ في القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ لا يَخْتَلِفُ عَنْ هَذَا المَقْصِدِ؛ فَكُلُّ قِرَاءَةٍ تُوَضِّحُ وَتُبَيِّنُ مَعْنًى جَدِيدًا لَمْ تُبَيِّنْهُ غَيْرُهَا مِنْ قِرَاءَاتٍ اشْتَرَكَتْ مَعَهَا في التَّعْبِيرِ القُرْآنِيِّ ذَاتِهِ، وَبِذَلِكَ تَتَّسِعُ المَعَانِي، وَتَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ القِرَاءَاتِ، فَكُلُّ قِرَاءَةٍ بِمُقَامِ آيَةٍ؛ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ عَاشُور:" عَلَى أَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَجِيءُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ عَلَى مَا يَحْتَمِلُ تِلْكَ الْوُجُوهِ مُرَادًا لِلَّهِ تَعَالَى لِيَقْرَأَ الْقُرَّاءُ بِوُجُوهٍ فَتَكْثُرُ مِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ الْمَعَانِي، فَيَكُونُ وُجُودُ الْوَجْهَيْنِ فَأَكْثَرَ فِي مُخْتَلَفِ الْقِرَاءَاتِ مُجْزِئًا عَنْ آيَتَيْنِ فَأَكْثَرَ، وَهَذَا نَظِيرُ التَّضْمِينِ فِي اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ، وَنَظِيرُ التَّوْرِيَةِ وَالتَّوْجِيهِ فِي الْبَدِيعِ..."[1]

وَلَمَّا كَانَ اتِّسَاعُ المَعَانِي وَتَكْثِيرُهَا أَحَدَ المَقَاصِدِ الرَّئِيسَةِ التي نَنْشُدُهَا مِنْ وُجودِ اخْتِلافٍ- لا تَخَالُفٍ- بَيْنَ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ، مِنْ غَيْرِ تَنَاقُضٍ أَوْ تَبَايُنٍ بَيْنَ المَعَانِي التي تَتَكَشَّفُ مِنْ خِلالِ الأَخْذِ بِكُلِّ قِرَاءَةٍ، فَسَوْفَ أَعْرِضُ لِلتَّمْثِيلِ وَالتَّدْلِيلِ عَلَى صِحَّةِ مَا أَذْهَبُ إِلَيْهِ بِبَعْضِ القِرَاءَاتِ التي دَارَتْ حَوْلَ آيَاتٍ قُرْآنِيَّةٍ بِعَيْنِهَا، وَسَأُحَاوِلُ الكَشْفَ عَنْ المَعَانِي التي تَوَلَّدَتْ نَتِيجَةَ وُجُودِ ذَلِكَ الاخْتِلافِ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

١- قَوْلُهُ تَعَالَى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} [2] ؛ فَقَدْ قَرَأَ عَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ: (يَكْذِبُونَ) بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَتَخْفِيفِ الذَّالِ، وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ: (يُكَذِّبُونَ) بِضَمِّ اليَاءِ وَفَتْحِ الكَافِ وَتَشْدِيدِ الذَّالِ.[3]

---

١ - التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: الطَّاهِرُ بن عَاشور، ٥٥/١ .

٢ - سُورَةُ البَقَرَة : آية ١٠ .

٣ - انظر كِتَاب السَّبْعَة في القِرَاءَات : ابن مُجَاهِد، ص ١٤٣، وَالتَّذْكِرَةُ في القِرَاءَات : أبو الحَسَن، طَاهِر بن عبد المنعم بن غَلْبُون (ت: ٣٩٩هـ)، ٣١٠/٢ ، تحقيق د. عبد الفَتَّاح بحيري إبراهيم، ط. الزَّهْراء للإعلام العَرَبِيِّ، القَاهِرَةُ، ط٢، سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م، وَالتَّيْسِيرُ في القِرَاءَاتِ السَّبْع : أبو عَمْرٍو عُثْمَان بن سعيد بن عُثْمَان بن عُمَر الدَّاني (ت: ٤٤٤هـ)، ص٧٢، تحقيق أوتو تريزل، ط. دار الكتَابش العَرَبِيِّ، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، وَالكَنْزُ في القِرَاءَاتِ العَشْرِ: تَاجُ الدِّين، وَيُقَالُ: نَجْمُ الدِّينِ أبو مُحَمَّد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوَجيه بن عبد الله بن عَلِي ابن المُبَارك التَّاجرُ الوَاسطيّ المُقْرِئ (ت: ٧٤٠هـ)، ٤٠٤/٢، تحقيق د. خالد أحمد المَشْهَدانيُّ، ط. مكتبة الثَّقَافَةِ الدِّينِيَّةِ، القَاهِرَةُ، ط ١، سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م،وَالنَّشْرُ في القِرَاءَاتِ العَشْرِ : ابن الجَزْرِي، ٢٠٧/٢.

فَالقِرَاءَةُ بِالتَّخْفِيف فَعَلَى كَذِبِهِمُ الْخَاصِّ فِي قَوْلِهِمْ: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ}[1]، وَعَلَى كَذِبِهِمُ الْعَامِّ فِي قَوْلِهِمْ: {إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}[2]، فَالْمَقْصُودُ كَذِبُهُمْ فِي إِظْهَارِ الْإِيمَانِ وَفِي جَعْلِ أَنْفُسِهِمُ الْمُصْلِحِينَ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ.[3]

وَالقِرَاءَةُ بِالتَّشْدِيدِ مَعْنَاهَا أَنَّهُم اسْتَحَقُّوا العَذَابَ الأَلِيمَ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِم النَّبِيَّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ الزَّجَّاج:" وَيُقْرَأُ: (يُكَذِّبونَ). فَمَنْ قَرَأَ: (يَكْذِبونَ) بِالتَّخْفِيف فَإِنَّ كَذِبَهُم قَولُهُم: أَنَّهُمْ مُؤْمنون، يَقُولُ اللهُ– عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا هم بِمُؤْمِنِينَ}، وَأَمَّا: (يُكَذِّبونَ) بِالتَّثْقِيل، فَمَعْنَاهُ: بِتَكْذِيبِهِم النَّبِيَّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."[4]

فَحَاصِلُ القِرَاءَتَيْنِ أَنَّ المُنَافِقِينَ سَيُعَذَّبُونَ العَذَابَ الأَلِيمَ بِسَبَبِ كَذِبِهِم وَتَكْذِيبِهِم، فَفِي القِرَاءَتَيْنِ تَنَوُّع فِي المَعَانِي، إِذْ بَيَّنَتْ إِحْدَى القِرَاءَتَيْنِ أَنَّهُمْ كَاذِبون فِي أَخْبَارِهِم، وَبَيَّنَتْ القِرَاءَةُ الأُخْرَى بِأَنَّهُم يُكَذِّبُونَ النَّبِيَّ، وَيُنْكِرونَ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا التَّنَوُّعِ إِلا أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ تَضَادٌّ فِي المَعْنَى فِي حَالِ الرَّغْبَةِ فِي الجَمْعِ بَيْنَ القِرَاءَتَيْنِ؛ فَالمُتَحَدَّثُ عَنْهُ فِي كِلْتَا القِرَاءَتَيْنِ هُمْ المُنَافِقُون؛ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مَكِّيٌّ ابن أبي طَالِب القَيْسِيِّ:" وَالقِرَاءَتَان مُتَدَاخِلَتَان تَرْجِعَان إِلَى مَعْنًى وَاحِد؛ لأَنَّ مَنْ كَذَّبَ رِسَالَةَ الرُّسُلِ وَحُجَّةَ النُّبُوَّةِ فَهُوَ كَاذِبٌ عَلَى اللهِ، وَمَنْ كَذَّبَ اللهَ، وَجَحَدَ تَنْزِيلَهُ فَهُوَ مُكَذِّبٌ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ."[5]

---

١ – سُورَةُ البَقَرَة : آية ٨ .

٢ – سُورَةُ البَقَرَة : آية ١١ .

٣ – انظر التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِير: الطَّاهِرُ بن عاشور، ٢٨٣/١ .

٤ – مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ : أبو إِسْحَاق إبراهيم بن السَّرِّيّ بن سَهْل الزَّجَّاج (ت: ٣١١هـ)، ٨٧/١، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط. عالم الكُتُب، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، وانظر مَعَانِي القِرَاءَات: الهروي، ص٤٢، وَإِعْرَابُ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ وَعِلَلُها : أبوعبد الله الحُسَيْن بن أحمد بن خَالَويه (ت ٣٧٠هـ)، ٦٦/١، تحقيق د. عبد الرَّحْمَن بن سُلَيْمان العثيمين، ط. مكتبة الخانجي، القَاهِرَة، ط١، سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، الحُجَّة في عِلَلِ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ: أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغَفَّار الفَارِسِيّ (٣٧٧هـ)،٣٣٨/١–٣٣٨، وَالكَشْفُ عَنْ وُجوهِ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ وَعِلَلِهَا وَحِجَجِهَا: أبو مُحَمَّد مَكِيُّ بن أبي طالب حَمّوش بن مُحَمَّد بن مختار القَيْسِي القَيْرَوَانِي ثُمَّ الأَنْدَلُسِيّ القُرْطُبِيّ المَالِكِيّ (ت: ٤٣٧هـ)، ٢٢٨/١، تحقيق د. محيي الدِّين رَمَضَان، ط. مُؤسَّسَة الرِسَالَة، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥ – الكَشْفُ عَنْ وُجوهِ القِرَاءَاتِ السَّبْع : مَكِيُّ بن أبي طَالِب، ٢٢٩/١ .

وَقَدْ سَلَكَ الدَّانِي نَفْسَ الدَّرْبِ الذي سَارَ فيهِ مَكِّيُّ بن أبي طَالب؛ حَيْثُ أَقَرَّ بِإِمْكَانِ الجَمْعِ بَيْنَ القِرَاءَتَيْنِ لِلآيَةِ ذَاتِهَا؛ وَذَلِكَ في كِتَابِهِ (الأَحْرُفُ السَّبْعَةُ)، في بَابِ(اخْتِلافُ اللفْظِ وَالمَعْنَى جَمِيعًا مَعَ جَوَازِ اجْتِمَاعِ القِرَاءَتَيْنِ في شَيْءٍ وَاحِد)، وَذَلِكَ كَانَ فِيمَا نَصُّهُ: "وَكَذَا{بِمَا كَانُوا يكذبُون} بِتَخْفِيف الذَّال وَبِتَشْدِيدِهَا؛ لِأَنَّ المُرَادَ بِهَاتَيْنِ القِرَاءَتَيْنِ جَمِيعًا هُم المُنَافِقُونَ، وَذَلِكَ أَنَّهُم كَانُوا يَكْذِبُونَ فِي إِخْبَارِهِم، وَيُكَذِّبُونَ النَّبِيَّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى، فَالأَمْرَانِ جَمِيعًا مُجْتَمِعَانِ لَهُمْ، فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ عَنْهُم، وَأَعْلَمَنَا أَنَّهُ مُعَذِّبُهُم بِهِمَا"[1]، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلامِ ابن تَيْمِيَةَ:" وَفِي {يَكْذِبُونَ} قِرَاءَتَانِ مَشْهُورَتَانِ، فَإِنَّهُمْ كَذَّبُوا فِي قَوْلِهِمْ: آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَكَذَّبُوا الرَّسُولَ فِي الْبَاطِنِ وَإِنْ صَدَّقُوهُ فِي الظَّاهِرِ"[2]، وَيَقُولُ ابْنُ كَثِير:" وَقَوْلُهُ:{بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} وَقُرِئَ:{يُكَذِّبُونَ}، وَقَدْ كَانُوا مُتَّصِفِينَ بِهَذَا وَهَذَا، فَإِنَّهُمْ كَانُوا كَذَبَةً يُكَذِّبُونَ بِالْحَقِّ، يَجْمَعُونَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا. "[3]

٢ – قَوْلُهُ تَعَالَى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}.[4]

قَرَأَ حَمْزَةَ وَالْكِسَائِيّ:(فِيهِمَا إِثْمٌ كَثِيرٌ)بِالثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ:(إِثْم كَبِير) بِالْبَاءِ.[5]

فَمَعْنَى قِرَاءَةِ حَمْزَةَ وَالكِسَائِي:(إِثْمٌ كَثِيرٌ) بِالثَّاءِ، فَمِنَ الكَثْرَةِ؛ وَذَلِكَ لأَنَّ شُرْبَ الخَمْرِ يَحْدُثُ مَعَهُ آثَامٌ كَثِيرَةٌ مِنْ لَغَطٍ، وَتَخْلِيطٍ، وَسَبٍّ، وَأَيْمَانٍ، وَعَدَاوَةٍ، وَخِيَانَةٍ، وَتَفْرِيطٍ في

---

١ – الأَحْرُفُ السَّبْعَةُ : الدَّانِيُّ، ص ٤٨– ٤٩، وانظر النَّشْرُ في القِراءَاتِ العَشْرِ : ابن الجَزْرِيّ، ١/ ٥٠ .

٢ – مَجْمُوعَةُ الفَتَاوَىَ : ابن تيمية ، ٧ / ١٨٢ .

٣ – تَفْسِيرُ القُرْآنِ العَظِيم : أبو الفداء إِسْماعيل بن عُمَر بن كثير القُرَشِي البَصْرِي ثُمَّ الدِّمَشْقِيّ (ت: ٧٧٤هـ)، ١/١٧٩ تحقيق سامي بن مُحَمَّد سَلامَة، ط. دار طيبة للنَّشْرِ وَالتَّوْزِيع، الكُوَيْت، ط٢، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

٤ – سُورَةُ البَقَرَة : آية ٢١٩ .

٥ – انظر كِتَابُ السَّبْعَةُ في القِرَاءَات: ابن مُجَاهد، ص١٨٢، والنَّشْرُ في القِرَاءَاتِ العَشْرِ: ابن الجزري، ٢/٢٢٧، وَالتَّذْكِرَةُ في القِرَاءَات: ابن غَلْبون، ٢/٣٣٣، والتَّيسير: الدَّاني، ص٨٠، وَكِتَابُ الإِقْنَاعُ في القِرَاءَاتِ السَّبْع: أبو جَعْفَر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأَنْصَاري الغِرْنَاطِيّ المَعْروفُ بِابنِ البَاذِش (ت: ٥٤٠هـ) ، ١/٦٠٨، تحقيق د. عبد المجيد قَطَامِش، ط. منشورات مركز البَحْثِ العِلْمِيِّ وَإِحْيَاء التُّرَاثِ الإِسلامِيِّ، كُلِّيَّةُ الشَّرِيعَةُ وَالدِّرَاسَاتُ الإِسْلامِيَّةُ، جَامِعَةُ أم القرى، ط. دار الفِكْرِ، دِمَشْقُ، ط١، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ،وَالكَنْزُ في القِرَاءَاتِ العَشْرِ: ابن المبَارَك، ٢/٤٢٤ .

الفَرَائض، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ موبِقَات؛ لِذَلِكَ وُصِفَ (الإِثْمُ) بالكَثْرَة. وَقَدْ دَلَّلَ أَصْحَابُ هَذه القِرَاءَة عَلَى صحَّة مَذْهَبِهِم فِيهَا بِقَوْلِه تَعَالَى: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [1]، فذكر أشياء من الإثم .[2]

وَيَقولُ أبو حَيَّانُ الأَنْدَلُسِيُّ: " وَوُصِفَ الْإِثْمُ بِالْكَثْرَةِ إِمَّا بِاعْتِبَارِ الْآثِمِينَ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: فيه للناس آثام، أي لكل وَاحِد مِنْ مُتَعَاطِيهَا إِثْمٌ، أَوْ بِاعْتِبَارِ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى شُرْبِهَا مِنْ تَوَالِي الْعِقَابِ وَتَضْعِيفِه، فَنَاسَبَ أَنْ يُنْعَتَ بِالْكَثْرَةِ، أَوْ بِاعْتِبَارِ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى شُرْبِهَا مِمَّا يَصْدُرُ مِنْ شَارِبِهَا مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ الْمُحَرَّمَةِ، أو باعتبار من زوالها مِنْ لَدُنْ كَانَتْ إِلَى أن بيعت وشريت، فَقَدْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَمْرَ، وَلَعَنَ مَعَهَا عَشَرَةً: بَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَالْمُشْتَرَاةَ لَهُ، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَالْمَعْصُورَةَ لَهُ وَسَاقِيهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ لَهُ، وَآكِلَ ثَمَنِهَا. فَنَاسَبَ وَصْفُ الْإِثْمِ بِالْكَثْرَةِ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ." [3]

أمَّا مَعْنَى قِرَاءَة (إِثْمٌ كَبِيرٌ) بِالبَاءِ، فَهُوَ مِنَ الكِبْرِ وَالعِظَمِ؛ أي: فِيهَا إِثْمٌ عَظِيمٌ. وَقَدْ اسْتَدَلَّ أَصْحَابُ هَذه القِرَاءَة عَلَى صحَّة مَذْهَبِهُمْ فِيهَا بِقَوْلِه تَعَالَى: {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} [4]، فَـ (الإِثْمُ) لابُدَّ أنْ يَكونَ كَبيرًا؛ لأنَّ شُرْبَ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ مِنَ الكَبَائِرِ، وَفي هَذَا يَقُولُ الزَّجَّاجُ:" فَأَمَّا الإِثْمُ الكَبيرُ الذي في الخَمْرِ فَبَيِّنٌ؛ لأَنَّهَا تُوقِعُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ، وَتَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَعَقْلِه الذي يَمِيزُ بِهِ

---

١ – سُورَةُ المَائِدَة : آية ٩١ .

٢ – انظر حُجَّةُ القِرَاءَات : أبو زُرْعة عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن زنجلة (ت: حوالي ٤٠٠هـ): ص١٣٣، تحقيق سعيد الأفْغَاني، ط. مُؤَسَّسَة الرِّسَالَة، بيروت، ط ٥، سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، وَانْظُرْ الكَشْفُ عَنْ وُجُوهِ القِرَاءَات السَّبْعِ: مَكِّيُّ بن أبي طالب، ٢٦١/١.

٣ – البَحْرُ المُحيطُ في التَّفْسِير : أثيرُ الدِّينِ أبو حَيَّان مُحَمَّد بن يوسف بن عَلِيّ بن يوسف بن حَيَّان الأَنْدَلُسِيّ (ت: ٧٤٥هـ): ٤٠٥/٢، تحقيق صِدْقي مُحَمَّد جميل ،ط. دار الفِكْر، بيروت، سنة ١٤٢٠هـ .

٤ – سُورَةُ الشُّورَى : آية ٣٧ .

وَيَعْرِفُ بِهِ مَا يَجِبُ لِخَالِقِهِ."[1] وفي ذلك يَقُولُ مَكِّيُّ بن أبي طالب: " أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ شُرْبَ الخَمْرِ مِنَ الكَبَائِرِ؛ فَوَجَبَ أَنْ يُوصَفَ لِإِثْمِهِ بِالكِبَرِ."[2]

فَحَاصِلُ القِرَاءَتَيْنِ هُوَ التَّأْكِيدُ عَلَى تَحْرِيمِ الخَمْرِ، وَذَمِّهَا؛ لِعَظِيمِ إِثْمِهَا وَعُقُوبَتِهَا، وَكَذَلِكَ لِكَثْرَةِ آثَامِهَا. وَعَلَى ذَلِكَ فَلا تَنَاقُضَ بَيْنَ القِرَاءَتَيْنِ؛ لأَنَّهُمَا فِي ذَمِّ الخَمْرِ وَتَقْبِيحِ شَارِبِهَا، وَكُلُّ قِرَاءَةٍ مِنَ القِرَاءَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ قَدْ بَيَّنَتْ سَبَبًا مِنَ الأَسْبَابِ التِي تَدْعُو لِلْقَوْلِ بِحُرْمَتِهَا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَهَذَا مِنْ بَابِ الاتِّسَاعِ فِي المَعَانِي، لا التَّضَادِّ وَالتَّبَايُنِ، فَالقِرَاءَتَانِ عَبَّرَتَا عَنْ مُرَادِ اللهِ- عَزَّ وَجَلَّ- وَهُوَ مَا وَضَّحَهُ وَأَكَّدَ عَلَيْهِ أبو حَيَّان الأندلسي حَيْثُ يَقُولُ : " وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ النَّاسِ تَرْجِيحًا لِكُلِّ قِرَاءَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى، وَهَذَا خَطَأٌ، لِأَنَّ كُلًّا مِنَ الْقِرَاءَتَيْنِ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يَجُوزُ تَفْضِيلُ شَيْءٍ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِنَا، إِذْ كُلُّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى." [3]

٣ – قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.[4]

فَقَدْ قَرَأَ ابْنُ كَثِير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو: (نُنْشِرُهَا) بِالرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ، وَبِضَمِّ النُّونِ الأُولَى، وَبِالرَّاءِ. وَقَرَأَ عَاصِم وَابْن عَامِر وَحَمْزَة وَالْكِسَائِيّ: (نُنْشِزُهَا) بِالزَّايِ المَنْقُوطَةِ.[5]

فَمَعْنَى قِرَاءَةِ (نُنْشِرُهَا) أي: إِحْيَاؤُهَا، وَبَعْثُهَا بَعْدَ مَوْتِهَا، "وَنَشَرَ المَيِّتُ يَنْشُرُ نُشُورًا، أَى: عَاشَ بَعْدَ المَوْتِ، قَالَ الأَعْشَى :

---

١ – مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُه : الزَّجَّاجُ، ٢٩٢/١ .

٢ – الكَشْفُ عَنْ وُجُوهِ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ: مَكِّيُّ بن أبي طالب، ٢٩١/١ .

٣ – البَحْرُ المُحِيطُ : أبوحَيَّانُ الأَنْدَلُسِيّ، ١٨٥/٢ .

٤ – سُورَةُ البَقَرَة : آية ٢٥٩ .

٥ – انظر كِتَابُ السّبْعَةِ فِي القِرَاءَاتِ : ابْنُ مجَاهد، ص١٨٩، وَالنَّشْرُ فِي القِرَاءَاتِ العَشْرِ: ابْنُ الجزْرِي: ٢٣١/٢، وَالتَّذْكِرَةُ فِي القِرَاءَاتِ: ابْنُ غلبون، ٣٣٩/٢، وَالتَّيْسِيرُ فِي القِرَاءَاتِ السَّبْعِ: الدَّانِي، ص٨٢ ، وكِتَابُ الإِقْنَاعِ فِي القِرَاءَاتِ السَّبْعِ: ابْنُ البَاذِش،٦١١/١، وَالكَنْزُ فِي القِرَاءَاتِ العَشْرِ: ابْنُ المُبَارَك، ٤٢٩/٢.

حَتَّى يقولَ النَّاسُ ممّا أَوْا ... يا عَجَباً للمَيِّت النَّاشر

وَمِنْهُ: يَوْمُ النُّشور، قَالَ تَعَالَى: {وَإِلَيْهِ النُّشور}. وَأَنْشَرَ اللهُ المَيِّتَ، فنَشَرَ. وَقيل: نَشْرُ اللهِ المَيْتَ مِنْ: نَشْرِ الثَّوْبِ، وَأَنْشرَه: أَحْيَاهُ ... قَالَ الفرّاءُ: ذَهَبَ إِلَى النَّشْرِ والطَّيّ، قَالَ: وَالوَجْهُ أَنْ يَقول: أَنْشَرَهم اللهُ فَنَشَرُوا، وَأَنْشَدَ الأَصْمَعِيُّ لأَبِي ذُؤَيب الهُذَلِيِّ :

لو كانَ مدْحَةُ حيٍّ أَنْشَرَت أَحدًا ... أَحْيَا أُبوّتَك الشُمَّ الأَماديحُ "[1]

أمَّا قِرَاءَةُ: (نُنْشِزُهَا)، فَمَعْنَاهَا: نَرْفَعُهَا. وَالإِنْشَازُ: نَقْلُهَا إِلَى مَوْضعِهَا، وَمِنْهُ: نُشوزِ المَرْأَة؛ يُقَال: نَشَزَت المرأَةُ تَنْشُز وتَنْشِزُ نُشوزًا، أي: اسْتَعْصَتْ عَلَى بَعْلِهَا وَأَبْغَضَتْه، وَنَشَزَ الرَّجُلُ يَنْشُزُ وَيَنْشِزُ نَشْزًا: ارْتَفَعَ فى المكَان، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}. [2]

يَقولُ الفَرَّاءُ: "الإِنْشَازُ: نَقْلُهَا إِلَى مَوْضعِهَا، وَقَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاس: (نَنْشُرُهَا)، إِنْشَاءَهَا: إِحْيَاؤهَا، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِه: {ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ}." [3]

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: "يُقْرَأُ: (نُنْشِزُهَا) بِالزَّاي، وَنُنْشِرُها ونَنْشُرُهَا بِالرَّاءِ. فَمَنْ قَرَأَ (نُنْشِزُهَا) كَانَ مَعْنَاهُ: نَجْعَلُهَا بَعْدَ بَلاهَا وَهُجُودِهَا نَاشِزَةً، يَنْشُزُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْض، أي: يَرْتَفِع.

وَ(النَشَزُ) في اللغَة: مَا ارْتَفَعَ عَنْ الأَرْضِ، وَمَنْ قَرَأَ: (نُنْشِرُها) و (نَنْشُرُها)؛ فَهُوَ مِنْ أَنْشَرَ اللَّهُ المَوْتَى وَنَشَرَهُم. وَقَدْ يُقَالُ: نَشَرَهُم اللَّهُ، أي: بَعَثَهُم، كَمَا قَالَ: (وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)." [4]

---

١ – بَصَائِرُ ذَوي التَّمْيِيزِ في لَطَائِفِ الكِتَابِ العَزِيز: مَجْدُ الدِّين، أبو طَاهِر مُحَمَّد بن يَعْقوب الفَيْروزآبادِى (ت: ٨١٧هـ)، ٥/٥٤–٥٥، تحقيق مُحَمَّد علي النَّجَّار، ط. المَجْلِس الأعْلَى للشُّئونِ الإسْلامِيَّة– لَجْنَة إحْيَاءِ التُّرَاثِ الإسْلامِيِّ، القَاهِرَة، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

٢ – سُورَةُ المُجَادِلَة : آية ١١، و بَصَائِرُ ذَوي التَّمييز : الفيروزآبادي، ٥/٥٦ .

٣- سُورَةُ عَبَسَ : آية ٢٢، وَمَعَانِي القُرْآنِ : أبو زَكَرِيَّا يَحْيَى بن زياد بن عبد الله بن مَنْظور الدَّيْلَمِي الفَرَّاء (ت: ٢٠٧هـ)، ١/١٧٣، تحقيق أحمد يوسف النَّجَاتِي، وَمُحَمَّد عَلِي النَّجَّار، وَعبد الفتَّاح إسماعيل الشَّلَبي، ط. عالم الكُتُب، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

٤ – سُورَةُ المُلْك : آية ١٥، وَمَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُه: الزَّجَّاجُ، ١/٣٤٤، وَانظر حُجَّةُ القِرَاءَات: ابن زِنْجَلَة، ص١٤٤، وَإِعْرَابُ القِرَاءَاتِ السَّبْع: ابْنُ خَالَويه، ١/٤٣، و٩٧، وَمَعَانِي القِرَاءَات: أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد الأَزْهَرِي الهَرَوِيّ (ت: ٣٧٠هـ)، ١/٢٢٢، ط. مركز البحوث، كُلِّيَّةُ الآدَاب، جَامِعَةُ المَلِك سُعُود، ط١، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م، وَالكَشْفُ عَنْ وُجوهِ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ وَعِلَلِهَا: مَكِّيُّ بن أبي طالب، ١/٣١٠–٣٣١ .

فَحَاصِلُ القِرَاءَتَيْنِ أنَّ اللهَ- سُبْحَانَهُ وتَعَالَى- بَيَّنَ كَيْفِيَّةَ إحْيَاءِ المَوْتَى؛ وَذَلِكَ بِإحْيَاءِ العِظَامِ وبَعْثِهَا مِنْ مَوْتَتِهَا الأُولَى التي كَانَتْ عَلَيْهَا، وَهُوَ مَا أَشَارَت القِرَاءَةُ بِالرَّاء. وَقَدْ بَيَّنَت القِرَاءَةُ بِالزَّاي كَيْفِيَّةَ إحْيَاءِ العِظَامِ؛ وَذَلِكَ بِرَفْعِ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى التَأَمَتْ، فَضَمَّنَ اللهُ تَعَالَى المَعْنَيَيْنِ في القِرَاءَتَيْنِ، وَفي ذَلِكَ يَقُولُ الدَّاني: "الْمُرَادَ بِهَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْنِ جَمِيعًا هِيَ الْعِظَامُ وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى (أَنْشَرَهَا) أَيْ: أَحْيَاهَا، وَ(أَنْشَزَهَا) أَيْ: رَفَعَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ حَتَّى الْتَأَمَتْ، فَأَخْبَر سُبْحَانَهُ أَنَّهُ جَمَعَ لَهَا هذَيْنِ الْأَمريْنِ مِنْ إِحْيَائِهَا بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَرَفَعَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ لِتَلْتَئِمَ، فَضَمَّنَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَعْنَيَيْنِ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ تَنْبِيهًا عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِه" [1]، فَدَلَّ بِالقِرَاءَتَيْنِ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِه- سُبْحَانَهُ- في البَعْثِ وَالإِحْيَاءِ وَالتَّرْكِيبِ مِنْ غَيْرِ تَنَاقُضٍ أَوْ تَبَايُنٍ أَوْ تَضَادٍّ فِيهِمَا.

٤ – قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ}.[2]

قَرَأَ عَامَّةُ العَشَرَة:(وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ) بِتَشْدِيدِ الرَّاء. وَقَرَأَ الأَعْرَجُ: (وَهُمْ لا يُفْرِطُون) بِتَخْفِيفِ الرَّاءِ وَسُكونِ الفَاء.[3]

فَمَعْنَى قِرَاءَةِ العَامَّةِ أَنَ المَلائِكَةَ لا يُقَصِّرُونَ فِيمَا يُؤْمَرُونَ بِهِ مِنْ قَبْضِ رُوحِ مَنْ تَحْضُرُهُ المَنِيَّةُ، وَهُمْ لا يَغْفَلونَ وَلا يَتَوَانُونَ فِيمَا هُمْ مُكَلَّفُونَ بِهِ. أَمَّا قِرَاءَةُ الأَعْرَجِ فَمِنَ الإِفْرَاطِ، أي: الزِّيَادَة؛ فَهُمْ لا يُزِيدُونَ وَلا يَتَوَفُّونَ إِلاَّ مَنْ أُمِرُوا بِتَوَفِّيه، وَلا يَتَجَاوَزُونَ الحَدَّ الذي وَضَعَهُ اللهُ لَهُمْ فِيمَا كُلِّفُوا بِه، قَالَ ابْنُ جِنِّيّ: " يُقَال: أَفْرَطَ فِي الأَمْرِ: إذا زَادَ فِيه، وَفَرَّطَ فِيه: إذَا قَصَّرَ، فَكَمَا أَنَّ قِرَاءَةَ العَامَّةَ: (لا يُفَرِّطُونَ) تَعْنِي أَنَّهُم لا يُقَصِّرُونَ فِيمَا يُؤْمَرُونَ بِهِ مِنْ تَوَفِّي مَنْ تَحْضُرُ مَنِيَّتُهُ، فَهِيَ تَعْنِي أَيْضًا أَنَّهُم لا يَزِيدُون وَلا يَتَوَفُّونَ إلا مَنْ أُمِروا بِتَوَفِّيهِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَل: {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ}.[4]

---

١ – الأَحْرُفُ السَّبْعَةُ للقُرْآن: الدَّاني، ص٤٩، وانظر النَّشْرُ في القِرَاءَاتِ العَشْر: ابن الجزري،١/٥٠.

٢ – سُورَةُ الأَنْعَام : آية ٦١ .

٣ – انظر المُحْتَسِب في تَبْيِينِ وُجُوهِ شَوَاذِّ القِرَاءَاتِ وَالإِيضَاحِ عَنْهَا: أبو الفَتْح عُثْمان بن جِنِّيّ المُوصِلِيّ (ت: ٣٩٢هـ)،١/٢٢٣، تحقيق علي النَّجدي نَاصِف، و د.عبد الحليم النَّجَّار، و د.عبد الفَتَّاح إسْمَاعِيل شَلَبي، ط. المَجْلِس الأَعْلَى للشُّؤونِ الإِسْلامِيَّة، القَاهِرَة، سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .

٤ – سُورَةُ الرَّعْد : آية ٨، وَالمُحْتَسِبُ في تَبْيِينِ وُجوهِ شَوَاذِّ القِرَاءَات : ابْنُ جِنِّيّ، ١/٢٢٣ .

ممَّا سَبَقَ يَتَّضِحُ لَنَا أنَّ بَيْنَ القِرَاءَتَيْنِ دَلالَةً مُشْتَرَكَةً عَلَى أنَّ المَلائِكَةَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ، دُونَ زِيَادَةٍ أوْ نُقْصَانٍ؛ فَكُلُّ قِرَاءَةٍ وَضَّحَتْ مَعْنًى مُتَضَمِّنًا لِمُرَادِ اللهِ– عَزَّ وَجَلَّ– دُونَ تَضَادٍّ أوْ تَنَاقُضٍ، وَذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّوَسُّعِ في المَعَانِي، مِنْ غَيْرِ تَبَايُنٍ في مَعَانِي القِرَاءَاتِ[1]، وَفي ذَلِكَ يَقُولُ الزَّمَخْشَرِيُّ: "وَ(يُفَرِّطُونَ) بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ؛ فَالتَّفْرِيطُ: التَّوَانِي وَالتَّأْخِيرُ عَنْ الحَدِّ، وَالإفْرَاطُ: مُجَاوَزَةُ الحَدِّ، أي: لا يُنْقِصُونَ ممَّا أُمِرُوا بِهِ وَلا يَزِيدُونَ فِيهِ."[2]

٥ – قوله تعالى: { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ }. [3]

قَرَأَ نَافِعٌ وَعَاصِمُ وَابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةَ:)بِضَنِينٍ) بِالضَّادِ. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُوعَمْرٍو وَالكِسَائِيُّ: (بِظَنِينٍ) بِالظَّاءِ .[4]

فَالقِرَاءَةُ بِالضَّادِ)بِضَنِينٍ): مِنَ الضِّنَّةِ؛ وَهِيَ البُخْلُ، أي: مَا هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِبَخِيلٍ. أمَّا القِرَاءَةُ بِالظَّاءِ (بِظَنِينٍ): فَمِنَ الظِّنَّةِ؛ وَهِيَ الاتِّهَامُ، أي: مَا هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِمُتَّهَمٍ.

يَقُولُ الْفَرَّاءُ: "حَدَّثَنِي قَيْسُ بن الرَّبِيعِ، عَنْ عَاصِمِ ابْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ زِرٍّ بْن حُبَيْشٍ، قَالَ: أَنْتُمْ تَقْرَءونَ: (بِضَنِينٍ)؛ ببخيل، وَنَحْنُ نَقْرَأُ: (بِظَنِينٍ)؛ بِمُتَّهَمٍ. وَقَرَأَ عَاصِمُ وَأَهْلُ الحِجَازِ وَزَيْدٌ بن ثَابِت: (بِضَنِينٍ)، وَهُوَ حَسَنٌ؛ يَقُول: يَأْتِيهِ غَيْبُ السَّمَاءِ، وَهُوَ مَنْفُوسٌ فِيهِ فَلا يَضْنُّ بِهِ عَنَّكُمْ، فَلَوْ كَانَ مَكَانَ (عَلَى)– (عنْ)– صَلُحَ أَوْ البَاءُ؛ كَمَا

---

١ – انظر إعْرَابُ القِرَاءَاتِ الشَّوَاذ: أبو البَقَاء العُكْبَرِيَ (ت: ٦١٦هـ)،١/٤٨٣–٤٨٤، تحقيق مُحَمَّد السَّيِّد أحمد عَزُّوز، ط. عالم الكُتُب، بيروت، ط١، سنة ١٤١هـ/١٩٩٦م .

٢ – الكَشَّافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنْزِيلِ وَعُيُونِ الأَقَاوِيلِ في وُجُوهِ التَّأْوِيلِ: جَارُ اللهِ أبو القَاسِم مَحْمود بن عَمْرو بن أحمد، الزَّمَخْشَرِي (ت:٥٣٨هـ)، ٢/٣٢ ، تحقيق عبد الرَّزَّاق المَهْدِي، ط. دار إحياءِ التُّرَاث العَرَبِيِّ، بيروت،ط٢، سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

٣ – سُورَةُ التَّكْوِير : آيات ٢٢–٢٥.

٤ – انظر كِتَابُ السَّبْعَةِ في القِرَاءَاتِ: ابْنُ مُجَاهِد، ص٦٧٣، وَالتَّذْكِرَةُ في القِرَاءَاتِ: ابْنُ غَلْبُون، ٢/٧٥٦، وَالتَّيْسِيرُ في القِرَاءَاتِ السَّبْعِ: الدَّانِي، ص٢٢٠، وَكِتَابُ الإقْنَاعِ في القِرَاءَاتِ العَشْرِ: ابْنُ البَاذِش،٢/٨٠٥، وَالكَنْزُ في القِرَاءَاتِ العَشْرِ: ابْنُ المُبَارَك،٢/٧٠٧، وَالنَّشْرُ في القِرَاءَاتِ العَشْرِ: ابْنُ الجَزْرِيّ، ٣/٢٤٢.

تَقُول: مَا هُوَ بِضَنِين بِالغَيْب. وَالذِينَ قَالوا: (بِظَنِين) احْتَجُّوا بِأَنَّ (عَلَى) تُقَوِّي قَوْلَهُم؛ كَمَا تَقُول: مَا أَنْتَ عَلَيَّ فُلانٍ بِمُتَّهَم."[1]

وَنَحْوَ هَذَا ذَهَبَ الزَّجَّاجُ بِقَوْلِه:" فَمَنْ قَرَأَ (بِظَنِين)؛ فَمَعْنَاهُ: مَا هُوَ عَلَى الغَيْب بِمُتهَم، وَهُوَ الثِّقَةُ فِيمَا أَدَّاهُ عَنْ اللَّه- عَزَّ وَجَلَّ- ،يُقَالُ: (ظَنَنْتُ زَيْدًا) في معنى (اتَّهَمْتُ زَيْدًا). وَمَنْ قَرَأَ: (بِضَنِين)؛ فَمَعْنَاهُ: مَا هُوَ عَلَى الغَيْب بِبَخِيلٍ؛ أي: هُوَ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُؤَدِّي عَنْ الله وَيُعَلِّمُ كِتَابَ اللَّه."[2]

وَيَقولُ ابْنُ خَالَوَيه:" قَرَأَ ابْنُ كَثِير وَأَبُو عَمْرُو وَالكِسَائِيُّ: (بِظَنِين) بِالظَّاء، أي: بِمُتَّهَم، يُقَالُ: بِئْرٌ ظَنِينٌ، إذا كَانَ لا يُوثَقُ بِهَا .

وَقَرَأَ البَاقُون: (بِضَنِين) بِالضَّاد، أي: بِبَخِيل، أي: لَيْسَ بَخِيلٌ بِالوَحْيِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ القُرْآنِ فلا يَكْتُمهُ أَحَدًا، تَقولُ العَرَبُ: ضَنَنْتُ بِالشَّيْءِ أَضِنُّ بِه: إذا بَخِلْتُ بِه، وَيُنْشَدُ:

مَهْلاً أَعَاذِلُ قَدْ جَرَّبْتِ مِنْ خُلُقِي إنِّي أَجُودُ لأَقْوامٍ وَإنْ ضَنَنُوا."[3]

وَلَمْ يَشِذَّ عَنْ هَذِهِ المَعَانِي التي أَجْمَعَ عَلَيْهَا جُمْهُورُ المُفَسِّرِينَ وَأَصْحَابُ كُتُبِ عِلَلِ القِرَاءَات[4]،سوَى أَصْحَابُ (كُتُبِ النَّظَائِرِ بَيْنَ الظَّاءِ وَالضَّاد)؛ والذينَ انْصَبَّ اهْتِمَامُهُم في رِوَايَةِ النَّظَائِرِ بِشَيْءٍ مِنَ التَّوَسُّعِ وَالشُّمُولِ، مُعْتَمِدِينَ فِيمَا أَوْرَدُوا عَلَى مَا قَرَّرَهُ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ في مَعَاجِمِهِمْ، وَذَلِكَ لِوَضْعِ الضَّوَابِطِ التي تُفَرِّقُ بَيْنَ الحَرْفَيْنِ مَعَ ذِكْرِ المَعَانِي التي تَتَوَلَّدُ مِنْ تَبْدِيلِ الحَرْفَيْنِ في لَفْظَةٍ بِعَيْنِهَا؛ وَيُمَثِّلُ لِذَلِكَ مَا أَوْرَدَهُ

---

١ – مَعَانِي القُرْآن: الفَرَّاءُ، ٢٤٢/٣-٢٤٣.

٢ – مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُه: الزَّجَّاجُ ، ٢٩٣/٥ .

٣ – إعْرَابُ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ : ابْنُ خَالَوَيْه ، ٤٤٦/٢ .

٤ – انظر تَفْصِيل تِلْكَ المَعَاني في حُجَّةُ القِرَاءَات: ابْنُ زنْجلة، ص٧٥٢، وَالكَشْفُ عَنْ وُجُوهِ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ: مَكِّيُّ بن أبي طَالِب، ٢/ ٣٦٤، وَالمُوَضِّحُ في تَعْلِيلِ وُجوهِ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ: أبو العَبَّاس المَهْدَوي (ت: ٤٤٠هـ)، ص٥٧٢، دِرَاسَةُ وَتَحقيق سَالِم قَدُّوري الحمد، رِسَالَةٌ مُقَدَّمَةٌ لِلْحُصُولِ عَلَى دَرَجَةِ المَاجِسْتِير، كُلِّيَّة الآدَاب، جَامِعَة بَغْداد، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، وَالكَشَّافُ: الزَّمَخْشَرِيُّ، ٧١٣/٤، وَمَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ: مُحَمَّد جَمَالُ الدِّينِ بن مُحَمَّد سعيد بن قَاسِم الحَلاق القَاسِمِي (ت: ١٣٣٢هـ)، ٤٢٠/٩، تحقيق مُحَمَّد باسل عيون السُّود، ط. دار الكُتُبِ العِلْمِيَّة، بيروت، ط١، سنة ١٤١٨هـ .

السَّرْقُوسيُّ في كتَابِه (ظَاءَاتُ القُرْآن) فيمَا كَانَ نَصُّهُ: "وَيَكونُ الظَّنُّ بِمَعْنَى الشَّكِّ وَالتُّهْمَة، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ}[1]،{إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا}[2].

وَاخْتُلِف في سُوْرَة التَّكْوِير في قَوْلِه: {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ}[3]؛ فَقُرِئَ بِالظَّاءِ عَلَى مَعْنَى التُّهْمَة، وَقُرِىءَ بِالضَّادِ عَلَى مَعْنَى البُخْلِ: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) أي: بِبَخِيل."[4]

وَيَقُولُ ابْنُ مَالك: "فَأَمَّا (الضَّنُّ) بِالضَّاد، فَمَصْدَرُ (ضَنَّ) بِالشَّيْءِ ضَنًّا وَ ضِنًّا وضَنَانَةً؛ إِذَا بَخِلَ بِهِ وَشَحَّ. وَالضَّنِينُ: البَخِيلُ. وَقُرِئَ: {وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ}. وَأَمَّا (الظَّنُّ) بِالظَّاء، فَهُوَ خِلافُ اليَقِين، وَقَدْ يَكُونُ في مَعْنَاهُ، وَهُوَ مِنَ الأَضْدَادِ؛ فَمِمَّا جَاءَ مِنْهُ بِمَعْنَى الشَّكِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ}[5]، وَمِمَّا جَاءَ بِمَعْنَى اليَقِين قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا}[6]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ}[7]معناه، وَاللهُ أَعْلَمُ: اسْتَيْقَنُوا وَعَلِمُوا. وَقَالَ دُرَيْدُ بن الصَّمَّة القُشَيري:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ ... سَرَاتُهُمُ في الفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ

أي: اسْتَيْقَنُوا؛ لأَنَّهُ يُخَوِّفُ أَعْدَاءَهُ بِاليَقِين لا بِالشَّكِّ. وَ(الظِّنَّةُ) بِكَسْرِ الظَّاء: التُّهْمَةُ، وَقُرِئَ: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ)، أي: بِمُتَّهَمٍ. وَكِلاهُمَا بِالظَّاءِ وَالضَّادِ مُتَوَجِّهَانِ في حَقِّ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لأَنَّهُ لَيْسَ بِبَخِيلٍ وَلا بِمُتَّهَم." [8]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاء : آية ١٥٧ .

٢ – سُورَةُ الجَاثِيَة : آية ٣٢ .

٣ – سُورَةُ التَّكْوِير : آية ٢٤ .

٤ – ظَاءاتُ القُرْآن: أبو الرَّبيع سلْمَان بن أبي القَاسِمِ السَّرْقُوسيّ (ت: أوآخر القرن السادس الهجري): ص٣١٧، ضِمْن كِتَاب (نُصُوصٌ مُحَقَّقَةٌ في عُلومِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، تحقيق د. حَاتِم الضَّامِن، بغداد، سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م٠.

٥ – سُورَةُ الفَتْحِ : آية ١٢ .

٦ – سُورَةُ الكَهْفِ : آية ٥٢ .

٧ – سُورَةُ التَّوْبَة : آية ١١٨ .

٨ – الاعْتِمَادُ في نَظَائِرِ الظَّاءِ وَالضَّاد: جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّد بن مالك (ت: ٦٧٢هـ) ، ص ٣٨–٣٩، تَحقيق د. حَاتِم صَالِح الضَّامِن، ط. مُؤسَّسة الرِّسَالَة، بيروت، ط٣، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

وَبِهَذا يَتَحَصَّلُ أنَّ القِرَاءَتَيْنِ- وَإنْ لَمْ تَتَّفقَا في بَعْضِ حُروف كَلِمَات كُلٍّ مِنْهُمَا- لَيْس بَيْنَهُمَا تَنَاقُضٌ أوْ تَضَادٌّ في المَعْنَى العَام المَوْجودُ في كِلَيْهِمَا؛ وَذَلِكَ في حَال الرَّغْبَة في الجَمْع القِرَاءَتَيْن وَالأخْذ بِمَا فِيهِمَا مِنْ مَعَانٍ في الوَقْت ذَاته؛ فَكُلُّ قِرَاءَة مِنْهُمَا تُصَدِّقُ الأُخْرَى، وَذَلِكَ بِإضَافَة مَعْنًى جَديدًا يَكْتَملُ به ذَلِكَ المَعْنَى المَوْجُودُ في القِرَاءَة الأُخْرَى؛ "لأَنَّ المُرَادَ بِهَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْن جَميعًا هُوَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وَذَلِكَ أنه كَانَ غَيْرَ ظَنِينٍ عَلَى الْغَيْبِ أَي: غَيْرُ مُتَّهمٍ فِيمَا أَخْبَرَ به عَنْ الله تَعَالَى. وَغَيْرُ ضَنِينٍ بِهِ، أَي: غَيْرُ بَخيلٍ بِتَعْليم مَا عَلَّمَهُ اللهُ وَأَنْزَلَهُ إِلَيْه. فَقَدْ انْتَفَى عَنهُ الْأَمْرَانِ جَميعًا، فَأَخْبر الله تَعَالَى عَنْهُ بِهِمَا فِي الْقِرَاءَتَيْن."[1]

مِنْ خِلال مَا تَقَدَّمَ يَتَبَيَّنُ لنَا بِشَكْل جَلِيٍّ أنَّ الاخْتِلافَ في القِرَاءَات القُرْآنيَّة هُوَ اخْتِلافُ تَنَوُّع وَتَغَايُر، وَلَيْسَ اخْتِلافُ تَنَاقُضٍ أوْ تَضَادٍّ؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ تَضَادٍّ أوْ تَنَاقُضٍ أوْ تَبَايُنٍ بَيْنَ القِرَاءَات القُرْآنيَّة المُخْتَلفَة التي وَرَدَتْ وَصَحَّ نَقْلُهَا عَنْ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ممَّا قَرَأَ بِه عَلَى أَصْحَابِه- رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- وِفْقَ لُغَاتِهِمْ العَرَبِيَّة المَخْصُوصَة، تِلْكَ اللغُاتُ التي اخْتَلَفَتْ فِيمَا بَيْنَهَا اخْتِلافَ تَنَوُّعٍ في اسْتِخْدَامِ المُفْرَدَات اللُّغَويّة وَالحُروف التي تَضَمَّنَتْهَا كُلُّ لَفْظَة للتَّعْبِير عَنْ المَعَاني التي قَصَدَهَا أَصْحَابُهَا في مُحَادَثَاتِهِم اليَوْميَّة وَاسْتِعْمَالاتِهِم اللُّغَويَّة، وَهُوَ الأَمْرُ الذي يَدْعَمُ القَوْلَ بِأنَّ مَقَاصِدَ هَذَا الاخْتِلاف كَانَ مِنْ بَيْنِهَا تَكْثِيرُ المَعَاني في الآيَة الوَاحدَة؛ وَذَلِكَ مِنْ خِلال إلْقَاء الضَّوْء عَلَى جَانب مُعَيَّن لَمْ تُبَيِّنهُ القِرَاءَةُ الأُخْرَى، فَالأَمْرُ أَشْبَهُ بِمَجْمُوعَة مِنَ الصُّوَرِ لِمَكَانٍ وَاحِد، وَلَكِنْ مِنْ زَوَايَا مُخْتَلفَة.

والله أعلم

١ – الأَحْرُفُ السَّبْعَةُ لِلْقُرْآنِ : الدَّاني، ص٤٩ .

** الخَاتِمَةُ وَالنَّتَائِجُ

الحَمْدُ لله الذى هَدَانَا لِهَذَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ، وَبَعْـد،،،

لَقَدْ كَشَفَتْ هَذِه الدِّرَاسَةُ عَنْ بَعْضِ النَتَائِجِ التى تُعَلِّلُ سَبَبَ تَعَدُّدِ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّـةِ حَوْلَ آيَاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وَيُمْكِنُ رَصْدُ أَبْرَزَ هَذِه النَّتَائِجِ فِيمَا يَلِى:

أَوَّلاً: إِنَّ مَوضُوعَ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ مِنَ المَوْضُوعَاتِ المُهِمَّةِ فِي الـدَّرْسِ اللُغَـوِيِّ العَرَبِيِّ؛ فَالدِّرَاسَةُ فِيهِ تَكْشِفُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ القَضَايَا اللُغَوِيَّةِ المُهِمَّةِ؛ سَـوَاءٌ فِـي ذَلِـكَ القَضَايَا: الصَّوْتِيَّةُ، وَالصَّرْفِيَّةُ، وَالنَّحْوِيَّةُ، وَالدَّلالِيَّةُ. كَمَا تُلْقِي الدِّرَاسَةُ فِي ذَلِكَ المَجَـالِ الضَّوْءَ عَلَى الكَثِيرِ مِنَ الخَصَائِصِ اللهْجِيَّةِ الخَاصَّةُ بِكُلِّ قَبِيلَةٍ عَرَبِيَّةٍ. وَبِهَذَا تُعَدُّ مَـادَّةُ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ قَضَايَا رَافِدًا مُهِمًّا مِنْ رَوَافِـدِ الـدَّرْسِ اللُغَـوِيِّ العَرَبِيِّ، لا يُمْكِنُ تَجَاهُلَهُ أَوْ التَّقْصِيرُ فِيهِ مِنْ جَانِبِ دَارِسِي اللُغَةِ العَرَبِيَّةِ.

ثَانِيًا: تَبَيَّنَ لَنَا– مِنْ خِلالِ البَحْثِ وَعَرْضِ الآرَاءِ– أَنَّ عُلَمَاءَ المُسْلِمِينَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الاخْتِلافَ فِي القِرَاءَاتِ إِنَّمَا هُوَ اخْتِلافُ تَنَوُّعٍ وَتَغَايُرٍ، لا اخْتِلافُ تَضَادٍّ وَتَنَـاقُضٍ، وَهُوَ الأَمْرُ الذي يَدْعَمُ القَوْلَ بِجَهْلِ بَعْضِ المُسْتَشْرِقِينَ مِمَّنْ يَصِفُونَ تَعَـدُّدَ القِـرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ وَاخْتِلافَهَا فِي بَعْضِ الأَلْفَاظِ القُرْآنِيَّةِ بِأَنَّهُ مَحْضُ اضْطِرَابٍ.

ثَالِثًا: اتَّضَحَ لَنَا مِنْ خِلالِ عَرْضِ بَعْضِ القِرَاءَاتِ القُرْآنِيَّةِ التي اخْتَلَفَتْ حَوْلَ لَفْظَـةٍ قُرْآنِيَّةٍ بِعَيْنِهَا حُدُوثُ تَعَدُّدٍ لِلمَعَانِي وَاتِّسَاعٍ لَهَا، وَتَبَيَّنَ لَنَا كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ مَقْـصِدًا مِـنْ مَقَاصِدِ التَّعَدُّدِ؛ ذَلِكَ التَّعَدُّدُ الذي يُمْكِنُ عَدُّهُ بِمَثَابَةِ التَّصْوِيرِ لِلشَّيْءِ الوَاحِـدِ مِـنْ عِـدَّةِ زَوَايَا لِتَمْكِينِ مَنْ يَقْرَأُ القُرْآنَ مِنْ فَهْمِ مَعَانِيهِ، وَذَلِكَ بِغَرَضِ تَكَشُّفِ مَا فِيهِ مِنْ أَوَامِـرٍ يَلْزَمُ اتِّبَاعُهَا وَنَوَاهِيَ يَلْزَمُ تَجَنُّبُهَا وَالابْتِعَادُ عَنْهَا، فَمَا مِنْ قِرَاءَتَينِ مُخْتَلِفَتَيْنِ فِي لَفْظَـةٍ قُرْآنِيَّةٍ أَوْ تَعْبِيرٍ قُرْآنِيٍّ مَا إِلا وَفِي كُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَعْنًى يَكْشِفُ عَمَّـا فِـي القِـرَاءَةِ الأُخْرَى مِنْ مَعَانٍ غَيْرِ وَاضِحَةٍ، فَالقِرَاءَةُ مَعَ تِلْكَ الأُخْرَى التي تَخْتَلِفُ مَعَهَـا بِمَثَابَـةِ الآيَةِ مَعَ الآيَةِ، فَالْكُلُّ مَجْمُوعٌ تَحْتَ بُنْيَانٍ وَاحِدٍ، فَالإِيمَانُ بِجَمِيعِهَـا أَمْـرٌ مَفْـرُوضٌ، وَالعَمَلُ بِمَا فِيهَا أَمْرٌ لا بَدِيلَ لَهُ وَلا سَبِيلَ إِلَى تَلافِيهِ.

وَلَمَّا كَانَتْ غَالِبِيَّةُ كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَكُتُبِ تَوْجِيهِ القِـرَاءَاتِ مُقْتَـصِرَةً فِـي عَرْضِـهَا لِمَوْضُوعِ اخْتِلافِ القِرَاءَاتِ عَلَى تَوْضِيحِ الحِجَجِ المُرَجِّحَـةِ لِقِـرَاءَاتٍ بِعَيْنِهَـا دُونَ غَيْرِهَا، وَبَيَانِ عِلَلِ الإِقْرَارِ بِصِحَّتِهَا لِلأَخْذِ بِهَا دُونَ غَيْرِهَا، مُتَجَاهِلَـةً– فِـي الأَعَـمِّ الاغْلَبِ– الفَوَائِدَ وَاللطَائِفَ التي تَتَحَقَّقُ مِنْ خِلالِ وُجُودِ ذَلِكَ الاخْتِلافِ بَيْنَ القِـرَاءَاتِ

القُرْآنيَّة، فَإنِّي أَرَى أنَّهُ يَجبُ عَلَى البَاحِثينَ في ذَلكَ العِلْمِ الشَّريف مِنْ عُلومِ القُرْآن- وَأَقْصُدُ بِذَلكَ عِلْمَ القِرَاءَاتِ القُرْآنيَّة- الاهْتِمَام بِجَمْعِ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَوْضُوعِ تَعَدُّدِ القِرَاءَاتِ القُرْآنيَّة حَوْلَ آيَاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ في دِرَاسَةٍ وَاحِدَةٍ، يُسْهِمُ فِي إِخْرَاجِهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ المُتَخَصِّصِينَ، وَذَلكَ بِإِفْرَادِ مَا يَنْتَهونَ إِلَيْهِ في مُصَنَّفٍ وَاحِدٍ، تُجْمَعُ فِيهِ تِلْكَ المَعَانِي وَالفَوَائِدُ وَاللطَائِفُ التي تَضَمَّنَتْهَا القِرَاءَاتُ القُرْآنيَّةُ المُخْتَلِفَةُ، وَذَلكَ بِجَانِبِ حَصْرِ تِلْكَ المَعَانِي وَالفَوَائِدَ وَاللطَائِفِ الأُخْرَى التي سَتَتَكَشَّفُ نَتِيجَةَ الجَمْعِ بَيْنَ القِرَاءَاتِ القُرْآنيَّةِ المُخْتَلِفَةِ حَوْلَ الآيَةِ القُرْآنيَّةِ الوَاحِدَةِ أَوْ التَّعْبِيرِ القُرْآنِيِّ الوَاحِدِ، وَذَلكَ في كَيَانٍ وَاحِدٍ، كَمَا هُوَ الحَالُ في الآيَاتِ القُرْآنيَّةِ التي يُعَاضِدُ بَعْضُهَا البَعْضَ الآخَرَ؛ وَهُوَ الأَمْرُ الذي سَيَعْمَلُ عَلَى تَرْسِيخِ جَانِبٍ مُهِمٍّ مِنْ جَوَانِبِ الإِعْجَازِ القُرْآنِيِّ في أَذْهَانِ وَقُلوبِ كُلِّ مَنْ يَقْرَأُ القُرْآنَ الكَرِيمَ، وَكُلِّ مَنْ يَرْغَبْ في الدِّرَاسَةِ في أيٍّ مِنْ عُلُومِهِ الشَّرِيفَةِ؛ ذَلكَ الجَانِبُ المُتَمَثِّلُ في القَوْلِ بِأَنَّ القُرْآنَ الكَرِيمَ- بِنُصُوصِهِ المُتَعَاضِدَةِ وَآيَاتِهِ المُتَرَابِطَةِ- تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ .

وَآخِرُ دَعْوانَا أَنْ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

دكتور أحمد وفيق السيد شاهين

قَائِمَةُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ :

١. الإبَانَةُ عَنْ مَعَانِي القِرَاءَات: أبو مُحَمَّد مَكِّيُّ بن أبي طالب حَمّوش بن مُحَمَّد بن مختار القَيْسِيّ القَيْرَوَانِيّ ثُمَّ الأنْدَلُسِيّ القُرْطُبِيّ المَالِكِيّ(ت:٤٣٧هـ)، تحقيق د. عبد الفَتَّاح إسماعيل شلبي، ط. دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت) .

٢. الإتْقَانُ في عُلومِ القُرْآن: جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن أبي بَكْرٍ السُّيوطِيّ (ت: ٩١١هـ)، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط. الهَيْئَة المِصْرِيَّة العَامَّة للكِتَاب، مصر، سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

٣. الأَحْرُفُ السَّبْعَةُ للقُرْآن: أبو عمروعُثْمان بن سعيد بن عُثْمان بن عمر الدَّانِي (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق د. عبد المُهَيْمن طَحَّان، ط. مكتبة المَنَارَة، مَكَّةُ المُكَرَّمَةُ، ط١، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٤. الإعْتِمادُ في نَظَائِرِ الظَّاءِ وَالضَّاد: جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّد بن مَالِك(ت:٦٧٢هـ)، تحقيق د.حاتم صَالِح الضَّامِن،ط.مُؤسَّسَة الرِّسَالة،بيروت،ط٣، سنة١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٥. إعْجَازُ القُرْآنِ وَالبَلاغَة النَّبَوِيَّة: مُصْطَفى صَادِق بن عبد الرَّزَّاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرَّافِعِيّ(ت:١٣٥٦هـ)، ط. دار الكِتَابِ العَرَبِيِّ، بيروت، ط ٨، سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م .

٦. إعْرَابُ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ وَعِلَلُهَا: أبوعبد الله الحُسَيْن بن أحمد بن خَالَوَيْه(ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق د.عبد الرَّحْمَن بن سُلَيْمان العُثَيْمِين، ط. مكتبة الخانجي، القَاهِرَةُ، ط١، سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

٧. إعْرَابُ القِرَاءَاتِ الشَّوَّاذِّ: أبوالبَقَاء العُكْبُرِيَ(ت:٦١٦هـ)، تحقيق مُحَمَّد السَّيِّد أحمد عزوز، ط. عَالَم الكُتُب، بيروت، ط١، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٨. الأعْلامُ- قَاموس تَرَاجِم لأشْهَرِ الرِّجَالِ وَالنِّساءِ مِنَ العَرَبِ وَالمُسْتَعْرِبِين وَالمُسْتَشْرِقِين: خَيْرُ الدِّينِ بن مَحْمود بن مُحَمَّد بن علي بن فَارِس الزِّرِكْلِيّ الدِّمَشْقِيّ (ت:١٣٩٦هـ)، ط. دار العِلْمِ للمَلايين، بيروت، ط ٥، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٩. البَحْرُ المُحيطُ في التَّفْسير: أَثيرُ الدِّينِ أبو حَيَّان مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حَيَّان الأنْدَلُسِيِّ(ت:٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي مُحَمَّد جميل ،ط. دار الفِكْرِ، بيروت، سنة ١٤٢٠هـ .

١٠. البُرْهَانُ في عُلومِ القُرْآنِ: أبو عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بَهَادِر الزَّرْكَشِيّ(ت:٧٩٤هـ)، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط.دار إحياء الكُتُبِ العَرَبِيَّةِ- عيسى البابى الحلبي، ط١، سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

١١. بَصَائِرُ ذَوي التَّمييزِ في لَطَائِفِ الكِتَابِ العَزيز: مَجْدُ الدِّينِ أبو طاهر مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادى(ت:٨١٧هـ)، تحقيق مُحَمَّد علي النَّجَّار، ط.المَجْلِس الأعلى للشُّئُونِ الإسْلامِيَّةِ- لجنة إحْيَاءِ التُّراثِ الإسلامِيِّ، القَاهِرَةُ، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٢. بَيَانُ السَبَبِ المُوجِبِ لاخْتِلافِ القِرَاءَات: أبو العَبَّاس أحمد بن عَمَّار المَهْدَوِيّ (ت: نحو سنة ٤٤٠هـ)، ضِمْنَ كِتَاب (نصوصٌ مُحَقَّقَةٌ في عُلومِ القُرْآنِ الكَرِيمِ)، تحقيق د. حاتم صالح الضَّامِن، بغداد، سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١٣. تَأْوِيلُ مُشْكِلِ القُرْآن: أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَة (ت:٢٧٦هـ)، تحقيق سَيِّد أحمد صَقْر، دار التُراث، القَاهِرَةُ، ط٢، سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

١٤. تَحْرِيرُ المَعْنَى السَّدِيدِ وَتَنْوِيرُ العَقْلِ الجَدِيدِ مِنْ تَفْسِيرِ الكِتَابِ المَجِيدِ، والمعروف بـ (التَّحْرِيرُ وَالتَّنوِيرُ): مُحَمَّد الطَّاهِرُ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطَّاهِر بن عاشور التُّونِسِيّ (ت:١٣٩٢هـ)، ط. الدار التُّونسِيَّة للنَّشْر، بيروت، سنة ١٩٨٤م .

١٥. التَّذْكِرَةُ في القِرَاءَات : أبو الحسن طاهِر بن عبد المنعم بن غَلْبُون (ت:٣٩٩هـ)، تحقيق د.عبد الفَتَّاح بحيري إبراهيم، ط. الزَّهراء للإعْلامِ العَرَبِيِّ، القَاهِرَةُ، ط٢، سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١٦. تَفْسِيرُ القُرْآنِ العَظِيمِ: أبو الفِدَاء إسماعيل بن عمر بن كثير القُرَشِيّ البَصْرِيّ ثُمَّ الدِّمَشْقِيّ(ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن مُحَمَّد سلامة، ط. دار طيبة للنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، الكُوَيْتُ، ط٢، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

١٧. التَّيْسِيرُ في القِرَاءَاتِ السَّبْعِ: أبو عمرو عُثْمان بن سعيد بن عُثْمان بن عمر الدَّانِي (ت:٤٤٤هـ)، تحقيق أوتو تريزل، ط. دار الكِتَابِ العَرَبِيِّ، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

١٨. الجَامِعُ لأحْكَامِ القُرْآن: شَمْسُ الدِّينِ أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بَكْرٍ بن فَرَحٍ الأنَصْارِيّ الخَزْرَجِيّ القُرْطُبِيّ(ت:٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش ط. دار الكُتُبِ المَصْرِيَّةِ، القَاهِرَةُ، ط٢، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٦٤م .

١٩. الجَامِعُ المُسنَدُ الصَّحيحُ المُختَصَرُ مِنْ أمورِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسُنَنِهِ وأيَّامِهِ، والمَعْروفُ بـــ (صحيحِ البخاري البُخارِيُّ، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسْماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة بن بردزبَّة البُخارِيُّ الجَعْفِيُّ،(ت:٢٥٦هـــ)، تحقيق مُحَمَّد زُهير بن ناصر النَّاصِر، ط، دار طوق النَّجَاة، ط١، سنة ١٤٢٢هـــ .

٢٠. جَمَالُ القُرَّاءِ وَكَمَالُ الإقْرَاء: عَلَمُ الدِّينِ أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن عبد الصَّمَد الهَمَذَانِي المصريّ الشَّافِعِيّ(ت:٦٤٣هـــ)، تحقيق د. مروان العطيَّة، و د. محسن خَرَابَة ، ط. دار المَأمون للتُّراث، دمَشْق، بيروت، ط١، سنة ١٤١٨هـــ/١٩٩٧م٠

٢١. الحُجَّةُ في عِلَلِ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ: أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغَفَّار الفَارِسِيّ (ت:٣٧٧هـــ)، تحقيق بدر الدين قَهْوجِيّ، وبشير جويجابي، ط. دار المأمون للتُّراث، دمشق، ط٢، سنة ١٤١٣هـــ/ ١٩٩٣م .

٢٢. حُجَّةُ القِرَاءَاتِ: أبو زُرْعَة عبد الرَّحْمن بن مُحَمَّد بن زِنْجَلَة(ت:حوالي ٤٠٠هـــ)، تحقيق سعيد الأفغاني، ط.مؤسسة الرِّسَالَة، بيروت،ط ٥، سنة ١٤٢٢هـــ/ ٢٠٠١م.

٢٣. سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ: أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضَّحَّاك، التِّرْمِذِيّ(ت:٢٧٩هـــ)، تحقيق وتعليق أحمد مُحَمَّد شاكر، ومُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض،ط.مصطفى البابي الحلبي،مصر،ط٢، سنة ١٣٩٥هـــ/١٩٧٥م.

٢٤. السُّنَنُ الكُبْرَىَ: أبو عبد الرَّحْمن أحمد بن شُعَيْب بن علي الخُرَاسَانِيّ النَّسَائِيّ (ت: ٣٠٣هـــ)، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي، ط.مُؤسَّسَة الرِّسَالَة، بيروت، ط١، سنة ١٤٢١هـــ/٢٠٠١م.

٢٥. ظَاءَاتُ القُرْآنِ: أبو الرَّبيع سَلْمَان بن أبي القَاسِم السَّرْقُوسِيّ (ت: أواخر القرن السَّادِس الهِجْرِيِّ)، ضمن كتاب (نُصوصٌ مُحَقَّقَةٌ في عُلومِ القُرْآنِ الكَرِيمِ)، تحقيق د. حاتم صالح الضَّامِن، بغداد، سنة ١٤١١هـــ/١٩٩١م.

٢٦. فَتْحُ البَارِي– شَرْحُ صَحِيحِ البُخَارِيِّ: أحمد بن علي بن حَجَر أبو الفضل العَسْقلانِيِّ الشَّافِعِيِّ(ت:٨٥٢هـــ)، رقَّم كُتُبَهُ وَأَبْوَابَهُ وَأَحَادِيثَهُ مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، وَأَخْرَجَهُ وَصَحَّحَهُ مُحِبُّ الدِّينِ الخَطِيب، ط. دار المَعْرِفَة، بيروت، سنة ١٣٧٩هـــ.

٢٧. القِرَاءَاتُ القُرْآنِيَّةُ وَأَثَرُهَا في الدِّرَاسَاتِ النَّحْوِيَّة: د. عبد العال سَالِم مَكْرَم، ط. مُؤسَّسَة الرِّسَالَة، بيروت، ط٣، سنة ١٤١٧هـــ/١٩٩٦م.

٢٨. كِتَابُ الإِقْنَاعِ في القِرَاءَاتِ السَّبْعِ: أبو جَعْفَر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأَنْصَارِيِّ الغِرْنَاطِيِّ المَعْروفُ بِابْنِ البَاذِشِ(ت:٥٤٠هـ)،تحقيق د.عبدالمجيد قَطَامِش، ط.منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التُّرَاثِ الإسلامِيِّ، كُلِّيَّةُ الشَّرِيعَةِ والدِّرَاسَاتِ الإِسْلامِيَّةِ، جَامِعَةُ أُمِّ القُرَىَ، ط. دار الفكر،دمشق،ط١،سنة١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٩. كِتَابُ السَّبْعَةِ في القِرَاءَاتِ: أبو بكر أحمد بن موسى بن العَبَّاس بن مُجَاهِد التَّمِيمِيِّ البَغْدَادِيِّ(ت:٣٢٤هـ)، تحقيق شوقى ضيف، ط. دارالمَعَارِف، مصر، ط٢، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٣٠. كِتَابُ المَصَاحِفُ: أبو بكر بن أبي داود عبد الله بن سُلَيْمان بن الأشعث الأزَدِيِّ السِّجِسْتَانِيِّ(ت:٣١٦هـ)، تحقيق مُحَمَّد بن عبده، ط.الفاروق الحديثة، القَاهِرَةُ، مصر، ط١، سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٣١. الكَشَّافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوامِضِ التَّنْزِيلِ وَعيونِ الأقَاوِيلِ في وُجُوهِ التَّأْوِيلِ: جَارُ اللهِ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزَّمَخْشَرِيِّ(ت:٥٣٨هـ)، تحقيق عبدالرَّزَّاق المهدي، ط.دار إحياء التُّرَاثِ العَرَبِيِّ، بيروت، ط٢، سنة١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٣٢. الكَشْفُ عَنْ وُجوهِ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ وَعِلَلِهَا وَحُجَجِهَا: أبو مُحَمَّد مَكِّيُّ بْنُ أبي طَالب حَمّوش بن مُحَمَّد بن مختار القَيْسِيِّ القَيْرَوَانِيِّ ثُمَّ الأَنْدَلُسِيِّ القُرْطُبِيِّ المَالِكِي(ت:٤٣٧هـ)، تحقيق د.محيي الدين رمضان، ط. مؤسسة الرِّسَالَة، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٣. الكَنْزُ في القِرَاءَاتِ العَشْرِ: تَاجُ الدِّينِ، وَيُقَالُ: نَجْمُ الدِّينِ أبو مُحَمَّد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوَجيه بن عبد الله بن على ابن المُبَارك التّاجِر الوَاسِطِيِّ المُقْرِئ(ت:٧٤٠هـ)، تحقيق د.خالد أحمد المَشْهَدَانِيّ، ط.مكتبة الثَّقَافَةِ الدِّينِيَّةِ، القَاهِرَةُ، ط١،سنة١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٣٤. مَجْمُوعُ الفَتَاوَىَ: تَقِيُّ الدِّينِ أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تَيْمِيَة الحَرَّانِيِّ (ت:٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن قَاسِم، ط. مُجَمَّع المَلِك فَهْد لِطَبَاعَةِ المُصْحَفِ الشَّرِيف،المَدِينَةُ المُنَوَّرَةُ،المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعودِيَّةُ،سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٣٥. مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ: مُحَمَّد جَمَال الدِّينِ بن مُحَمَّد سعيد بن قاسم الحَلاق القَاسِمِيِّ (ت: ١٣٣٢هـ)،تحقيق مُحَمَّد باسل عيون السُّود،ط.دارالكتب العلمية،بيروت،ط١،سنة ١٤١٨هـ.

٣٦. مُحَاضَرَاتٌ في عُلومِ القُرْآنِ: أبو عبد الله غانم بن قَدُّوري بن حمد بن صالح، آل موسى فَرَج النَّاصِريِّ التِّكْرِيتِيِّ، ط.دار عَمَّار،عَمَّان، ط١، سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٣٧. المُحْتَسِبُ في تَبيينِ وُجوهِ شَوَاذِّ القِرَاءَاتِ وَالإيضَاحِ عَنْهَا: أبو الفَتْح عُثْمان بن جِنِّيّ المُوصِلِيّ(ت:٣٩٢هـ)، تحقيق علي النَّجْدِي ناصف، و د.عبد الحليم النَّجَّار، و د.عبد الفَتَّاح إسماعيل شلبي، ط.المجلس الأعْلَى للشُّؤونِ الإسْلامِيَّةِ، القَاهِرَةُ، سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
٣٨. مُخْتَصَرٌ في شَوَاذِّ القِرَاءَاتِ مِنْ كِتَابِ البَدِيعِ: ابن خَالَوَيْه(ت:٣٧٠هـ)،عُنِيَ بِنَشْرِهِ ج٠ برجشتراسر، ط.دار الهجرة، (د٠ت) .
٣٩. مَذَاهِبُ التَّفْسيرِ الإسْلامِيِّ: إجنتس جولد تسيهر، ترجمة د. عبد الحليم النَّجَّار، ط. مطبعة السُّنَّة المُحَمَّدية، القَاهِرَةُ، سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
٤٠. المُرْشِدُ الوَجيزُ إلى عُلومٍ تَتَعَلَّقُ بِالكِتَابِ العَزِيزِ: أبو القاسم شِهَابُ الدِّينِ عبد الرَّحْمَن بن إسماعيل بن إبراهيم المَقْدِسِيّ الدِّمَشْقِيّ المَعْروفُ بِأبي شَامَةَ(ت: ٦٦٥هـ)، تحقيق طَيَّار آلتي قولاج، ط.دار صَادِر، بيروت، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
٤١. المُسْنَدُ الصَّحيحُ المُخْتَصَرُ بِنَقْلِ العَدْلِ عَنْ العَدْلِ إلَى رَسُولِ الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والمَعْروفُ بـ (صَحيحُ مُسْلِم): أبو الحسن مُسْلِمُ بن الحَجَّاج القُشيريُّ النَيْسابوريُّ أبو الحسن(ت:٢٦١هـ)، تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقى، ط.دار إحياء التُّراثِ العَرَبِيِّ، بيروت، سَنَة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.
٤٢. مَعَاني القِراءَاتِ : أبو منصور مُحَمَّد بن أحمد الأزْهَرِيّ الهُرَوِيّ(ت:٣٧٠هـ)، ط.مركز البحوث، كُلِّيَّة الآدَاب، جَامِعَة الملك سُعُود، ط١، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
٤٣. مَعَاني القُرْآن: أبو زكريا يَحْيَى بن زياد بن عبد الله بن منظور الدَّيْلَمِيّ الفَرَّاء (ت:٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد يوسف النَّجاتي، ومُحَمَّد علي النجار، وعبد الفَتَّاح إسماعيل الشَّلبي ، ط.عالم الكُتُب، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
٤٤. مَعَاني القُرْآنِ وَإعْرَابُه: أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِّيّ بن سَهْل الزَّجَّاج(ت: ٣١١هـ)، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط.عالم الكُتُب، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٤٥. مَعْرِفَةُ القُرَّاءِ الكِبَارِ عَلَى الطَّبَقَاتِ وَالأَعْصَارِ: شَمْسُ الدِّينِ أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهَبِيّ(ت:٧٤٨هـ)، ط.دار الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ، بيروت، ط١، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٤٦. مَنَاهِلُ العِرْفَانِ في عُلومِ القُرْآنِ: مُحَمَّد عبد العظيم الزُّرْقانيّ(ت:١٣٦٧هـ)، ط. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القَاهِرَة، ط٣، (د.ت).

٤٧. المُوَضِّحُ في تَعْليلِ وُجوهِ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ: أبو العَبَّاس المَهْدَوِيّ(ت:٤٤٠هـ)، دراسة وتحقيق سَالِم قَدُّورِيّ الحمد، رِسَالَة مُقَدَّمَةٌ للحُصولِ عَلَىَ دَرَجَةِ المَاجِسْتير، مِنْ كُلِّيَّةِ الآدَاب، جَامِعَة بَغْداد، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٤٨. النَّشْرُ في القِرَاءَاتِ العَشْرِ: شَمْسُ الدِّينِ أبو الخير مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن يوسف ابن الجِزْرِيّ(ت:٨٣٣هـ)، تحقيق علي مُحَمَّد الضَّبَّاع، ط.دار الفِكْرِ، بيروت، (د.ت) .